الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزراة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس–مستغانم–

قسم العلوم الاجتماعية

شعبة الفلسفة

تخصص: فلسفة وتعليميتها–نظام–LMD–

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الفلسفة موسومة بـــ:

مشكلة الثقافة عند مالك بن نبي وموقعها في المشروع الإصلاحي

اعداد الطالبة:

–داودي عيدة

إشراف الأستاذة:

أ/ بوصوار نجمة

السنة الجامعية: 2017/2016

كلمة شكر

بداية اننا نشكر الله عز وجل أنه وفقنا بإرادته ومشيئته الى اتمام هذا البحث المتواضع نحمده ونشكره كما نقدم بالشكر الجزيل الى الأولياء اللذين كان لهما دور كبير في اتمام هذا العمل.

فإنه يسعدنا ويشرفنا في هذا المقام أن نتوجه أولا بخالص شكرنا ووافر تقديرنا واحترامنا للأستاذة المشرفة بوصوار نجمة على ما خصصته لنا من وقت ومساعدة ولم تبخل علينا بتوصياتها ونصائحها.

كما أتوجه بالشكر الى الأساتذة وأخص بالذكر الأستاذ بن جدية محمد والأستاذ العربي ميلود اللذان يستحقان كل الاحترام والتقدير على مساعدتهما، دون أن أنسى مساعدة الأخ عالمي خالد الذي يستحق كل الاحترام والتقدير.

ولا أنسى أن أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان الى من كان لهما الفضل في التخفيف علينا متاعب هذه المذكرة أختي خيرة ومنى.

كما نشكر بقية الأساتذة الأفاضل على مساهمتهم في تكويننا وعلى جهدهم الكبير.

كما نشكر كل من ساعدنا من قريب ومن بعيد.

جزا الله الجميع عنا خير الجزاء.

وشكرا.

إهـــــداء

الى من علمني العطاء بدون انتظار

الى من أحمل اسمه بكل افتخار أرجوا من الله يمد في عمرك والدي العزيز

الى ملاكي في الحياة وسر الوجود وأغلى الحبايب أمي

الى روح أخي محمد وأختي نورة أدعوا الله أن يرحمها برحمته التي وسعت كل شيء

الى اخوتي ميلود وبن حليمة محمد وعبد القادر وكادي وبن عيشوش وبلال وأعز وأروع أخين يوسف وعبد الباسط

الى من أكن لهم صدق الحب والحنان هوارية وحياة ونعيمة وخضرة ومنى

الى من يصنعون ابتسامة الحياة ابتهال وهاجر ورؤيا

الى من عرفت وصدقت وأحببت القلوب الحنونة شريفة وفاطمة وخيرة

الى كل من ساعدني في هذا العمل من قريب أو من بعيد

الى الأستاذ قواسمي مراد الذي يستحق كل التقدير والاحترام

الى كل الأهل والأقارب

الى كل من يسعهم القلب ولم تسعهم الورقة

الى كل هؤلاء أهدي هذا العمل

عايدة

مـــقـــدمـــة

إن الباحث في الفكر الإسلامي، يدرك بجلاء ذلك الحضور القوي لمشكلة الثقافة التي تطرح نفسها على أنها القضية الأولى والأساسية في الفكر الاسلامي والمتأمل في مشكلة الثقافة في العالم العربي يجد نفسه أمام واقع هذه الثقافة وتشخيصها والغوص في عمقها والبحث عن الحلول ناجعة لها، وهذا ما ظهر لدى المفكر المعاصر مالك بن نبي الذي شغلته مشكلة الثقافة، فكان له فكره الخاص المتعلق بموسوعية وعمق الثقافة، ودورها في تحرير الانسان المسلم من أغلال التخلف والتبعية.

لقد طرح مالك بن نبي مشكلة الثقافة وذلك منذ أول كتاب له، تحدث فيه عن الثقافة وهو كتاب " شروط النهضة"، الصادر باللغة الفرنسية في باريس عام 1949م، الى كتابه الذي خصصه لهذه القضية وهو كتاب " مشكلة الثقافة" الصادر بالغة العربية في القاهرة عام 1959م، فقد استطاع مالك بن نبي أن يبلور نظرية في الثقافة أبرز فيها مختلف جوانب هذه الاشكالية.

لقد حاول مالك بن نبي طرح أهم المشكلات المتعلقة بقضية الثقافة، وايجاد الحلول لهذه المشكلة، فقد اعتبر أن الثقافة تحمل وتقدم أسس لمعالجة المشكلات التي يعاني منها الفرد والتي تنتشر في المجتمع مؤكد على أهمية الانسان كمحور رئيسي للمشروع الحضاري الاصلاحي، فالصعود الحضاري العربي يكون بإنسان مؤهل يقوم بهذه المهمة النهضوية.

وفي هذا السياق تأتي هذه الدراسة الموسومة" بمشكلة الثقافة عند مالك بن نبي وموقعها في المشروع الإصلاحي" لتسلط الضوء على قضية الثقافة ومشكلتها عند مالك بن نبي.

إن المتأمل لمعالم المشروع النهضوي الاصلاحي عند مالك بن نبي يلاحظ أن المفكر انطلق في صياغته من النظر إلى مشكلة التخلف عند المسلمين، على أنها مشكلة حضارية في طبيعتها، لذا عمل مالك بن نبي على تبني مشروع نهضوي هدفه إعادة بناء المجتمع الاسلامي من جديد، ثم يكون القضاء عل مشكلة التخلف التي يعاني منها الانسان المسلم مرهونة ببناء شخصية إنسان عربي مؤهل، وبنقله من وضعية التخلف الى وضعية التحضر وذلك لحل جميع المشاكل التي تعترضه في طريق التحضر، وإزالة كل معيقات النهضة التي تقف حائلا أمام تطوره الحضاري.

أما عن موقع الثقافة فلها دور ومكانة ضمن المشروع النهضوي عند مالك بن نبي فالملاحظ أن المفكر نظر إلى الثقافة العربية عامة والثقافة الجزائرية خاصة، على أنها أمام مشكلات جمة يجب حلها لشق الاعوجاج الحضاري، والتي لا تقوم إلى على أسس ثقافية فلابد من تجنيد الوسائل المناسبة لتحقيق ثقافة قادرة على البناء والارتقاء.

تأسيسا على ما سبق نطرح لإشكالية التالية: **ما هو تصور مالك بن نبي لمشكلة الثقافة؟.**

الأسئلة الفرعية:

-كيف نظر مالك بن نبي إلى الثقافة، وما هي الجوانب التي رأى فيها تمثل مشكلة الثقافة؟ وما البديل الذي قدمه؟.

-ما علاقة الثقافة بالعلم والحضارة؟.

الأسباب الموضوعية:

– تم اختيار هذا الموضوع تماشيا مع مسعانا إلى دراسة الفكر الذي يهتم بقضية الحضارة والمشكلات التي يقع فيها العالم الإسلامي ككل، هذا المسعى دفعنا إلى دراسة جانب من جوانب المفكر مالك بن نبي ، وتمثل هذا الجانب في دور الثقافة في المشروع النهضوي الحضاري وتحديد مشكلتها من منظور مالك بن نبي.

– انتاج مالك بن نبي وما كتبه في مجال الثقافة، يعد محفزا في ذاته للاهتمام بالجانب الثقافي في فكره.

أسباب ذاتية:

– الإعجاب بفكر مالك بن نبي الشيء الذي حفزنا إلى القراءة والبحث.

– الإطلاع على الموضوع من خلال ما تم من أبحاث حتى الآن.

أهمية البحث:

إن مالك بن نبي في فكره أعطى نظرية دقيقة في الثقافة بالإضافة الأمر الذي يعطي لأفكاره بعدا وعمقا في المعالجة من جهة ويجعلها معبرة عن الواقع الثقافي الذي عاشه من جهة أخرى.

الهدف من الدراسة:

إبراز موقف مالك بن نبي من مشكلة الثقافة خاصة إذ أنها مشكلة تقف عائقا أمام نهضة الشعوب الإسلامية هذا من جهة، ومن جهة أخرى نحن مطالبين بإعادة الاعتبار لمفكر من مقام مالك بن نبي، فأصبح من الضروري اعادة قراءة ما أنتجه هذا المفكر.

منهج الدراسة:

إن منهجية العمل استدعت بنا توظيف المنهج التحليلي النقدي، ويظهر ذلك بتحليل أهم أفكار مالك بن نبي المتعلقة بمشكلة الثقافة.

الدراسات السابقة:

-اعتمدنا على دراسة جاءت بعنون "مكانة الأفكار في الفلسفة الاجتماعية عند مالك بن نبي" لحمودة سعيدي وهي عبارة عن بحث أكاديمي تم إعداده للحصول على شهادة الماجستير في الفلسفة من جامعة الجزائر سنة 1984م، لمشكلة الثقافة عند مالك بن نبي، وكذلك كتاب تأملات في فكر مالك بن نبي لـ عبد القادر بوعرفة.

الصعوبات:

-تنحصر الصعوبات في تلك العراقيل التي تواجه أي باحث أكاديمي، التي تتطلب بذل الجهد والصبر في سبيل تحري الصدق الحدث وأمانته.

-إن تعامل الباحث مباشرة مع كتب مالك بن نبي وعمله على استقراء المعطيات جعلنا في مواجهة ضغط الوقت المحدد لإتمام الدراسة، ومن جهة أخرى مطالبين بتقديم المزيد من الوقت لاتمام العملية التحليلية وذلك عائد إلى الطبيعة النسقية التي يتميز بها فكر مالك بن نبي بحيث يتعذر الفهم لجزئيات هذا المفكر دون الاطلاع على كلياته.

خطة البحث:

مقدمة يليها الفصل الأول والذي كان موسوم بـ: المرجعية الفكرية لمالك بن نبي، ويتضمن مبحثين، المبحث الأول تأثر مالك بن نبي بالفكر الاسلامي، الذي تجلى فيه الحديث عن مدى تأثر مالك بن نبي بالدين الاسلامي وبالثقافة العربية الاسلامية. والمبحث الثاني تأثر

مالك بن نبي بالفكر الغربي الذي تم فيه الحديث عن مجمل فلاسفة الغرب الذي تأثر بهم مالك بن نبي.

أما الفصل الثاني جاء ليبرز تصور مالك بن نبي حول الثقافة وتشخيصه لمشكلاتها تضمن أيضا مبحثين، المبحث الأول تحديد مشكلة الثقافة من منظور مالك بن نبي الذي يبرز فيه الأسباب التي جعلت العالم العربي يقع في أزمة ثقافية، وثانيا استنتاج الحلول للخروج من تلك المشاكل للوصول للنهضة، أما المبحث الثاني نظرية الثقافة عند مالك بن نبي عند مالك بن نبي ،الذي يم التطرق فيه إلى مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي وعناصرها، وتطرقنا في الفصل الثالث الى الثقافة بين العلم والحضارة، ومنه جاء المبحث الأول علاقة الثقافة بالعلم، والمبحث الثاني علاقة الثقافة بالحضارة، وتوج البحث بخاتمة.

وفي الأخير نرجوا أن نكون قد وفقنا ولو بالقدر القليل في هذا العمل.

الفصل الأول:المرجعية الفكرية لمالك بن نبي

- تأثر مالك بن نبي بالفكر الاسلامي
- تأثر مالك بن نبي بالفكر الغربي

تأثر مالك بن نبي بالفكر الإسلامي

إن التراث العربي الإسلامي ومنابعه الأولى، خاصة القرآن الكريم، يعتبر الباعث الروحي والفكري، الذي يمثل الإشراقة الكبرى في تكوين شخصية مالك بن نبي حيث يعتبر من أهم المفكرين المتأثرين بكتاب الله تعالى، وهذا الأثر واضح وجلي في جميع مؤلفاته وخاصة في كتابيه الظاهرة القرآنية وهو أول مؤلفاته سنة 1946، حيث تناول فيه كيفية نزول القرآن الكريم وكذا أصول الإسلام والخصائص الظاهرية للوحي، أما كتابه وجهة العالم الإسلامي تناول فيه فوضى العالم الإسلامي وأزماته محاولة نهضته، مبرزا دور القرآن في حل عدة أمور كالانفصال الذي حدث في العالم الإسلامي(معركة صفين)، وكذا كتابيه ميلاد مجتمع وتأملات وجل كتبه لم تخلو من الآيات القرآنية و الأحاديث الشريفة.

فهو في الكثير من الأحيان يسترشد بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم فنجده عندما يتحدث عن المجتمع الإسلامي يذكر الحديث المشهور"(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) وهو الحديث الذي يعطي الصورة الدقيقة التي كان عليها المجتمع الإسلامي في عهد النبي صلى الله عليه وسلم"[1].

ويتضح لنا من خلال ذلك أن مالك بن نبي كان مفسر للقرآن وسلفي بمعنى الكلمة، ولهذا اعتمد على القرآن والسنة ومن الآيات التي اقتبسها من القرآن الكريم نذكر الآية:"إنّ الله لا يُغيّر مَا بِقَوْمٍ حَتّى يُغيّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ"[2]. من خلال هذه الآية نجده قد اتخذ هذه الأية كي ينادي بها المجتمع الإسلامي للتغير والنهوض من التخلف الذي تعيشه الأمة الإسلامية و كذلك قد صوب هذة الآية نحو الفرد في المجتمع قصد الصلاح والتوفيق في بناء الحضارة الإسلامية.

[1] – بن نبي مالك ، ميلاد مجتمع، تر: عبد الصبور شاهين، ج1، دار الوعي، الجزائر، ط1، 2013، ص12.

[2] – سورة الرعد، الآية11.

عند حديثه أيضا عن المجتمع الإسلامي ودور الفرد في تغيير المنكرات في المجتمع يسترشد مالك بن نبي بالحديث"من رأى منكر فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك اضعف الإيمان"[1] وتحدث عن الإصلاح الإجتماعي انطلاق من قوله تعالى:"كُنتُمْ خَيْرَ أُمّةٍ أُخْرِجَتْ لِلْنَاسِ تَأمُرونَ بِالْمَعْروفْ وَتَنْهَونَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤمِنونَ بالله"[2]، ومن هنا نجد أن النص الديني كان يطغى على مؤلفاته، فعندما يتحدث عن الثقافة يستدل عنها بالقرآن الكريم:"واقتلوهم حيث ثقفتموهم"[3].

لقد بيّن لنا كذلك دور الدين في بناء الحضارة التي وضعها في شكل معادلة رياضية (إنسان+ تراب+ وقت) إذ يقول:"دور الدين إذا في الحضارة هو دور العمل المركب لعناصره، واختفاء هذا الدور يعني تحليل هذه العناصر إلى وضع غير مركب أي تحليل الحضارة"[4].

إن المتطلع على أعمال مالك بن نبي يلاحظ أن الدين الإسلامي كان له تأثير على حياته وفي كتاباته، حيث نجد الكثير أقوال العلماء المسلين حاضرة في جميع كتاباته، إذ يقول الأستاذ محمد مبارك في تقديمه لكتاب: وجهة العالم الإسلامي يقول:"إن مالكا يبدو...في مجموع آثاره لا مفكرا كبيرا وصاحب نظرية فلسفية في الحضارة فحسب بل داعيا مؤمنا يجمع بين نظرية الفيلسوف المفكر ومنطقه وحماسة الداعية المؤمن وقوة شعوره وإن آثاره في الحقيقة تحوي تلك الدفعة المحركة التي سيكون لها في البلاد العرب أولا، وفي بلاد الإسلام ثانيا أثرها الناتج وقوتها الدافعة"[5]، وقال عنه أيضا الدكتور سليمان الخطيب:"إن دراسة عطاء مالك الفكري في إيطار المسألة الحضارية، يكسبنا عمقا، يرتبط

[1] – بن نبي مالك ، مشكلة الثقافة، دار الوعي، الجزائر ط1، 2013، ص90.

[2] – سورة آل عمران، الآية110.

[3] – سورة البقرة، الآية190.

[4] – شاويش محمد ، مالك بن نبي والوضع الراهن، دار الفكر، دمشق، ط1، 2007، ص29،28.

[5] –بن نبي مالك، وجهة العالم الإسلامي تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط1986،1، ص14،13.

ببنية الفكر الإسلامي المعاصر الذي يمتد بجذوره إلى تراث الأمة الفكري والثقافي الذي صاغته وبلورت مفاهيمه أصول عقيدته وإيمانه حددتها تعاليم ومبادئ القرآن والسنة الشريفة"[1] .

يقول عنه الدكتور عبد العزيز الخالدي" حينما كتب في مقدمة كتاب شروط النهضة: وبن نبي في الواقع ليس كاتبا محترفا أو عاملا في مكتب مكبا على أشياء خامدة من الورق والكلمات، ولكنه رجل شعر في حياته الخاصة، بمعنى الانسان في صورته الخلقية والاجتماعية، وتلك هي المأساة التي شعر بها بن نبي بكل ما فيها من شدة وبكل ما صدق في تجاربه الشخصية النادرة من القساوة[2]، وهذا ما يلاحظه كل من يقرأ كتابات بن نبي عموما أو كتاب مذكرة شاهد القرن على وجه الخصوص.

إنّ المتمعن والمطلع على أعمال مالك بن نبي يلاحظ إظفاء كبير للنصوص القرآنية والأحاديث النبوية، وكذا حضور كبير لأقوال العلماء المسلمين التي نجدها حاضرة بصورة كبيرة في جميع كتاباته حيث أن عملية المسح الشاملة لكتبه تجعل الباحث يدرك حضور عارم للفكر الإسلامي إضافة إلى تأثر مالك بن نبي بالدين أللإسلامي نجد عدّة مصادر أخرى ساهمت في تشكيل وصياغة فكره نقف عند اهمها:

[1] – الخطيب سليمان ، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي، المؤسسة الجامعية للدراسات للنشر والتوزيع، بيروت ط1، 1993،ص60.

[2] – بوخلخال عبد الوهاب، قراءة في فكر مالك بن نبي، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، الدوحة، ط 1، 2012، ص 39.

أ_أثر الثقافة العربية والإسلامية

تلقى مالك ابن نبي في الوسط المدرسي تكوينا علميا وأدبيا معتبرا حيث درس التوحيد على يد شيخه (مولود بن موهوب)، والفقه والسيرة على يد (الشيخ بن العابد)[1]، كما تلقى أيضا من الشيخ (عبد المجيد) أول أسس الثقافة العربية ،فلقد استفاد مالك بن نبي في تكوينه من الثقافة العربية و الإسلامية التي أكسبته روح الأصالة، وفي هذا الصدد يقول مالك بن نبي: "قد استطاعت الدروس ذاتها خاصة مع أساتذتنا العرب أن تنمي فينا هذه الروح وتغذيها".[2]

يقول أيضا " لقد أصيبت هكذا عددا لابأس به من المؤثرات الموجهة والمعدلة والمحركة وينبغي أن ألاحظ من بين هؤلاء واحدة تبدوا فريدة، أعني أثر صديقي (محمد بن الساعي) فلقد ترك في نفسي أثرا خاصا، فلقد كنت أستمع إلى طريقته في توجيه الآيات القرآنية لتتخذ تفسيرا اجتماعيا لحالة المجتمع الاسلامي الحاضرة، وكان ذلك يؤثر في نفسي كثيرا"[3].

من أبرز الشخصيات التي تأثر بها أيضا، والتي كان لها الفضل في وصوله إلى هذه الدرجة من العلم والمعرفة تأثره بالعلامة ابن خلدون،[4] لقد اهتم بالدورة الحضارية أي أن الحضارة في سيرانها تشبه حياة الانسان، فلقد أخذ منه مالك بن نبي فكرة الدورة الحضارية لقوله:" كان ابن خلدون وحده من استنبط فكرة الدورة في نظريته عن الأجيال الثلاثة".[5]

---

[1] – أنظر: بن نبي مالك، مذكرات شاهد القرن (الطفل)، دار الفكر، دمشق، ط2، 1984 ، ص 66.

[2] – بن نبي مالك، مذكرات شاهد القرن (الطفل)، المصدر السابق، ص64.

[3] – المصدر نفسه، ص 67.

بن خلدون: هو أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، ولد في تونس 1222 في أسرة متضلعة بالثقافة الاسلامية وتاقى دروسه في شتى العلوم الاسلام ...، ومن أشهر كتبه المقدمة(طربيشي جورج ، معجم الفلاسفة، الفلاسفة، المناطق، المتكلمون، اللاهتيون، المتصوفون، دار الطليعة، بيروت، ط3، 2006، ص ص 21، 22.

[5] – بن نبي مالك، وجهة العالم الاسلامي، المصدر السابق، ص 28.

لقد تأثر كثيرا بالحركات الإصلاحية ،كالحركات الإصلاحية في المشرق، ومن أبرز شخصياتها جمال الدين الأفغاني[1]، محمد عبده[2]، وبالحركات الاصلاحية بالجزائر كحركة الشيخ عبد الحميد ابن باديس[3].

في قراءاته للكتابات العربية التي تأثر بها نجده يؤكد على كتابين كان لهما الأثر البالغ في تحديد الاتجاه الفكري لمالك بن نبي هما: " الافلاس المعنوي للسياسة الغربية في الشرق" للشيخ أحمد رشيد رضا،[4] و"رسالة التوحيد" للشيخ محمد عبده"، اذ يقول مالك بن نبي " هذان المؤلفان أثرا على ما أعتقد في أبناء جيلي من المدرسين، أنا مدين لهما على كل حال بذلك التحول في فكري منذ تلك الفترة، لقد رسم لي كتاب أحمد رضا مزودا بالشواهد الكثيرة بهاء المجتمع الاسلامي في ذروة حضارته، وكان ذلك معيار صحيحا نقيس به بؤس اجتماعي في العصر الحاضر. أما كتاب محمد عبده وهنا أتحدث المقدمة

[1] – جمال الدين الأفغاني: همو محمد ابن صقدر الحسيني جمال الدين، ولد في أفغانستان سنة 1938...، يعد فيلسوف الاسلام في عصره وكبير الدعاة النهضة والاصلاح، أهم أثاره رسالة الرد على الدهريين(يعقوبي محمود ، معجم الفلسفة، أهم المصطلحات وأشهلر الأعلام، دار الكتاب، الحديث، القاهرة، ط1، 2008، ص 205).

[2] – محمد عبده: ولد في القرية الغربية في مصر 1949، من أئمة الاصلاح والتجديد في الاسلام، توفي عام 1905، (أنظر: زكي أحمد صلاح، أعلام النهضة العربية الاسلامية في العصر الحديث، مركز المنارة العربية، القاهرة، ط1، 2002، ص 63، 70).

[3] – عبد الحميد ابن باديس: هو عبد الحميد ابن المصطفى ابن مكي المعروف بابن باديس، ولد سنة 1989، درس في جامع الزيتونة في تونس، عمل بالصحافة...، وهو مؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931...، ومن مؤلفاته الرسالة في الأصول(أحمد منصور محمد ، موسوعة أعلام الفلسفة، دار أسامة، الأردن، ط1، 2001، ص 8).

[4] – أحمد رضا ولد بقرية القلمون احدى ضواحي طرابلس سنة 1865، لقد تصادف أن ولت الدولة العثمانية متصرفا أي حاكما، ثم عين بعد ذلك عضو في شعبة المصارف، كان من أنصار الحرية، من كتبه الافلاس المعنوي للسياسة الغربية في الشرق(أنظر، زكي أحمد صلاح، أعلام النهضة العربية الاسلامية في العصر الحديث، المرجع السابق، ص 78).

الهامة المترجمة حول غنى الفكر الاسلامي عبر العصور فقد أعطاني مستندا للحكم على فقره المحزن اليوم".[1]

وكان لكتاب عبد الرحمان الكواكبي[2] "أم القرى"، أثره هو الأخر على فكر مالك بن نبي اذ يقول مالك بن نبي" أما كتاب أم القرى فقد عرفني بالإسلام بدأ ينظم صفوفه ليدافع عن نفسه ويقوم بحركة بعث جديد إنه كتاب خيالي لكنه معبر يحمل شعورا بدأ يحتمل في العالم الاسلامي على الأقل في بعض الأنفس كالكواكبي، لم أكن أشك بأنه كتاب خيالي ولكن أثره في نفسي كان عميقا".[3]

وعليه يمكن القول أن تأثر مالك بن نبي بالقرآن الكريم كان واضحا وجلي في معظم كتبه، فبذلك يعد الباعث الروحي والأساس الأول في تكوين مالك بن نبي، أما بالنسبة الى تأثره بالثقافة العربية والإسلامية فلقد غرست فيه روح الأصالة الى الأبد.

[1] – بن نبي مالك، مذكرات شاهد القرن(الطفل)، المصدر السابق، ص 66.

[2] – عبد الرحمان الكواكبي، هو عبد الرحمان بن أحمد ألموقوت، المشهور بالكواكبي، ولد بحلب سنة 1800 وتوفي سنة 1902، من كتبه أم القرى وطبائع الاستبداد(أنظر: زكي أحمد صلاح، أعلام النهضة العربية الاسلامية في العصر الحديث، المرجع السابق، ص 50).

[3] – حسين يوسف، نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الغربي الحديث، دار التنوير للنشر والتوزيع، ط1، 2004، ص 46، 50.

تأثر مالك بن نبي بالفكر الغربي

إن الدارس لفكر مالك بن نبي يلاحظ أنه لم يكن متأثرا بالفكر الاسلامي فقط بل كان متأثرا أيضا بالفكر الغربي، حيث تلقى مالك بن نبي عن المدرسة الفرنسية بالجزائر حب المطالعة والاستفادة من المنهج الديكارتي العقلاني، كما طالع الصحف والمجالات الغربية وخاصة الجرائد الماركسية منها: جريدة الانسانية والكفاح الاجتماعي[1]، إن هذه الصحف التي تمثل الاتجاه الماركسي قد كشفت لمالك بن نبي عن طبيعة التفاعلات الاجتماعية والقوانين التي تحرك المجتمع .

تأثر كذلك مالك بن نبي ببعض الفلاسفة المفكرين الغربيين نذكر منهم كانط[2] الذي أخذ عنه فكرة الحق والواجب التي أسس عليه مفهومه للعدالة الاجتماعية، وتأثر بالفلاسفة المستشرقين أمثال ارنست رينان[3]، حيث نجد مالك بن نبي في كتابه شروط النهضة يقول" انه لمن الواضح أن المستشرقين القدماء أثروا وربما لايزالون يؤثرون على مجرى الأفكار في العالم الغربي دون أيما تأثير على أفكارنا"[4]، وهذا ما دفعه الى دراسة المستشرقين وأثره في الفكر الاسلامي الحديث، كما تأثر أيضا بنيتشه[5] في كتابه هكذا تكلم زرادشت، وهنا نجد الدكتور عبد القادر بوعرفة يقول: " لا نجد مؤلف لمالك بن نبي لا يحتوي على المفاهيم من وحي الفلسفة المثالية الواقعية، اذ نلاحظ حضور فريديريك

---

[1] – بن نبي مالك، مذكرات شاهد القرن (الطفل)، ص 89.

[2] – ايمانويل كانط (1724–1804)، فيلسوف ألماني، يعد مؤسس الفلسفة النقدية، من أهم كتبه نقد العقل الخالص، نقد العقل العمل، نقد مملكة الحكم (يعقوب محمود، معجم الفلاسفة، المرجع السابق)، ص 226.

[3] – ارنست رينان (1823–1892)، مستشرق ومفكر فرنسي، عني خصوصا بتاريخ المسيحية وتاريخ شعب اسرائيل أهم مؤلفاته ابن رشد والرشدية(بدوي عبد الرحمان، موسوعة المستشرقين، دار الفارس، الأردن، ط4، 2003، ص 313.

[4] – بن نبي مالك، القضايا الكبرى، دار الوعي، الجزائر، ط1، 2013، ص 167.

[5] – فريديريك نيتشه (1844–1900)، فيلسوف ألماني مجد الحياة ودعى الى الأخذ بأسباب القوة فيها مما جعله ينبذ الأخلاق المسيحية لأنها تزهد في الحياة، من أهم كتبه هكذا تكلم زرادشت، ارادة القوة (يعقوب محمود، معجم الفلاسفة المرجع السابق، ص 235).

نيتشه بقوة حتى أنك تشعر أن بن نبي يدعوك الى قراءة فلسفة نيتشه، وخاصة أن بن نبي كان كثير الاعتداد ببعض أرائه المتعلقة بالإنسان[1]، ونجده أخذ من الفيلسوف جون ديوي[2] من خلال كتابه كيف نفكر تلك النزعة البراغماتية التي تؤكد على الجانب النفعي في مجال التربية[3]، ويقول مالك بن نبي " كنت أعلم أن أمريكا كانت تملك الممثل دوغلاس فاير بنكس، رعاة البقر والجزار والدولارات ولكني لم أكن أعرف شيئا عن ثقافتها، اللهم إلا اسم اديسون فكان جون ديوي اكتشافا لي في أكثر من مجال".[4]

أيضا قرأ مالك بن نبي كتاب (تدهور الحضارة الغربية) للفيلسوف الألماني أزوالد اشبنجلر وتأثر به وأخذ منه فكرة تقسيم المجتمعات الانسانية بالنسبة لموقعها من الحضارة الى ثلاثة أنواع هي: المجتمعات السابقة على الحضارة والمجتمعات المتأخرة عن الحضارة والمجتمعات المتحضرة أما مالك بن نبي" فقد قسمها أيضا الى ثلاثة أنواع وهي: مجتمع ما قبل الحضارة مجتمع الحضارة ومجتمع ما بعد الحضارة[5].

يتضح لنا من خلال هذا أن تقسيم شبنجلر كان على أساس عرقي، أما تقسيم مالك بن نبي فكان على أساس نفسي اجتماعي وكان للمؤرخ الانجليزي أرنولد جوزيف تونبي وصاحب كتاب دراسات التاريخ أثر كبير في فكر مالك بن نبي وفي نظريته للحضارة حيث استمد منه فكرة الدين ودوره في نشوء الحضارات، فالحضارة عند مالك بن نبي هي تركيب للعناصر الثلاث(الإنسان، التراب الزمن)، وهذه الأسس التي تبنى عليها الحضارة التي عمادها الدين، وهذه الفكرة نجدها عند توينبي الذي أكد على دور الدين في نشوء

---

[1] – بوعرفة عبد القادر، الحضارة ومكر التاريخ، رياض العلوم، الجزائر، ط1، 2006، ص 147.

[2] – جون ديوي (1859–1952)، فيلسوف أمريكي برغماتي وعالم تربوي وناقد اجتماعي، اشتهرى ديوي عالما بالتربية أكبر من شهرته فيلسوف، ومن مؤلفاته المدرسة والمجتمع، الديمقراطية والتربية(بدوي عبد الرحمان، موسوعة الفلسفة، جزء 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1984، ص).

[3] – حسين يوسف، نقد مالك للفكر السياسي الغربي الحديث، المرجع السابق، ص 44.

[4] – بن نبي مالك، مذكرات شاهد القرن (الطفل)، المصدر السابق، ص 174.

[5] – خالد أسعد نورة، التغير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي، دار السعودية للنشر والتوزيع، ط1، د، س، ص 226.

الحضارات، ويقول" إذ وفق تحليلاته وجد أنه في ظروف انهيار حضارة ما تنبثق ديانة ما عن طريق استجابة الأقلية الخلاقة، وهم من يطلق عليهم (البروليتار الداخلية) لتحدي طغيان الأكثرية، واستعراض أمثلة عن كيفية انبثاق الديانة اليهودية والزرادشتية عن استجابة البروليتاريا الداخلية بصفتها عنصرا اجتماعيا تكون مجتمع معين....ويرى أنه في ظروف مشابهة نشأ الاسلام على يد الرسول "صلى الله عليه وسلم" وجماعته في المجتمع العربي المتفرع مع شقيقه المجتمع الايراني عن الحضارة السريانية الزائلة"[1].

وعليه نجد أن لكل من تونبي ومالك بن نبي نزعة دينية مؤثرة في نظرتهما الى الحياة والكون والتاريخ، ولذلك فان كلا منهما يرى أن علاج أي مرض داخلي يصيب الحضارة إنما يتطلب عودة إلى الدين، كما أن أي دورة جديدة لحضارة ما تستلزم قوة روحية دينية تعاضدها، ويتفق كل منهما على أن الحضارة الغربية قد تكونت بعد قرون من ظهور الدين المسيحي[2].

قد تأثر أيضا بالفيلسوف الحضارة والتاريخ هرمان دي كسرلنج وخذ عنه فكرة البدايات لكل الحضارات التي عرفتها الإنسانية ويتضح ذلك في كتابه شروط النهضة اذ يقول مالك بن نبي" فدورة الحضارة اذن تتم على هذا المنوال، اذ تبدأ حينما تدخل التاريخ فكرة دينية معينة، على حد قول كسرلنج كما أنها تنتهي حينما تفقد الروح نهائيا الهيمنة التي كانت لها على الغرائز المكبوتة أو مكبوحة الجماح"[3]، وهكذا "فإن الحضارة المسيحية وليدة الروح المسيحية، والحضارة الاسلامية وليدة الروح الإسلامية وهكذا مع بقية الحضارات الأخرى"[4].

[1] – فؤاد محمد شبل، حضارة الاسلام في دراسة أرنولد تونبي، الهيئة العربية للكتاب، القاهرة، دون طبعة، 1975، ص 18.

[2] – بريون فوزية، مالك بن نبي عصره وحياته ونظريته في الحضارة، دار الفكر، دمشق، دط، 2010، ص 168.

[3] – بن نبي مالك، شروط النهضة، دار الوعي،الجزائر،ط11 ،2012ص 78.

[4] – عبده محمد، مالك بن نبي مفكر ورائد إصلاحي، دار القلم، دمشق، ط 1، 2006، ص 89.

لقد تأثر كذلك بالفيلسوف فرنسيس بيكون، من خلال نظرية الأوهام أو أصنام العقل وهذا الأثر واضح وجليل في كتابه مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، وقد خصص في هذا الكتاب أحد فصوله بعنوان صراع الفكرة والوثن، إذ يقول في كتابه هذا " لقد أطلق القرآن الكريم تسمية الجاهلية أي الجهل على الوثنية التي سيطرت على الجزيرة العربية قبل الاسلام ومع ذلك لم تكن الجاهلية فقيرة في صناعة الأدب فلقد حفلت هذه الفترة بألمع الأسماء. لكنها ضلت تسمى الجاهلية أي عصر الجهالة، لأن علاقتها المقدسة لم تكن مع الأفكار وإنما كانت مع أوثان الكعبة"[1]. فمالك بن نبي عندما درس العقل الاسلامي المعاصر وجد أنه هناك أوثان تصارع الأفكار الأصلية.

إن تعريف مالك بن نبي للثقافة نجده يعرفها بأنها هي" تلك الكتلة نفسها بما تتضمنه من عادات متجانسة وعبقريات متقاربة وتقاليد وأذواق متجانسة وعواطف متشابهة"[2] ، وهذا التعريف غير بعيد عن تعريف ادوار تايلور الذي يرى أن الثقافة هي ذلك الكل المعقد الذي يحتوي على المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاقيات والقانون والعادات وغير ذلك من القدرات والسلوك الشائع الاستخدام الذي يكتسبه الانسان كعضو في المجتمع"[3]

أما عندما نجده يتحدث عن مقومات الحضارة في كتابه شروط النهضة وهي:

(الانسان، التراب، الزمن)، وأعطى لها تفسير وضعي وطبيعي، وثلاثية مالك بن نبي تشبه ثلاثية الفيلسوف الفرنسي هيبوليت أدولف تين الذي تحدث عن الحضارة وأعطى لها هو الأخر تفسير وضعي وطبيعي وقام بتطبيق نظريته حول ما يسميه (العرق، الوسط

[1] – بن نبي مالك، مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي، تر: بسام بركة، بسام بركة، أحمد شعوب، دار الوعي، الجزائر ط 1، 2013، ص 96.

[2] –بن نبي مالك، مشكلة الثقافة، المصدر السابق، ص 77.

[3] – ملحسن أستيتيه دلال، التغير الاجتماعي والثقافي، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 2008، ص 228.

الوقت) والدارس لكلا من الفيلسوفين يجد أن كلاهما مفتونين بالمنهج الوضعي في قراءة الأحداث التاريخية.

وعليه يمكن القول أن مالك بن نبي قد استفاد في تكوينه من الثقافة الغربية التي أكسبته روح المعاصرة "فمالك بن نبي يختلف كثيرا عن الدعاة والمفكرين والكتاب فهو فيلسوف أصيل له طابع العالم الاجتماعي الدقيق الذي أتاح له ثقافته العربية والفرنسية أن يجمع بين علم العرب وفكرهم المستمد من القرآن والسنة والفلسفة والتراث العربي الاسلامي الضخم وبين علم الغرب وفكرهم المستمد من تراث اليونان والرومان والمسيحية"[1]

في الأخير يمكن القول إن البناء الفكري لأي مفكر أو عالم لا يبدأ من فراغ، فلابد من المؤثرات الثقافية أو الاجتماعية أو السياسية، أو بعض الأعمال الفكرية التي تسهم في نمو هذا التفكير.

[1] – ضيف الله بشير، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي، منشورات المجلس الأعلى، الجزائر، ط 1، 2005، ص 28.

الفصل الثاني: المشروع الثقافي الإصلاحي في فكر مالك بن نبي

- تحديد مشكلة الثقافة من منظور مالك بن نبي
- نظرية الثقافة عند مالك بن نبي

تحديد مشكلة الثقافة من منظور مالك بن نبي

لقد عاشت فكرة الثقافة في عقله ووجدانه ،وشغلت تفيكرة في كل كتاباته الى درجة ان نقول أن الفكر الإسلامي المعاصر لم يشهد مفكرا شغلته مشكلة الثقافة مثل مالك بن نبي فكانت له رؤية خاصة للثقافة استطاع من خلالها أن يبلور نظرية في الثقافة، فلقد حاول أن يتخلص من الأزمة أو المشكلة الثقافية ، ولقد عالج مشكلة الثقافة في أهم كتبه شروط النهضة، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي مشكلة الثقافة، تأملات، قضايا كبرى...الخ ان هذه الدراسات كانت بمثابة البحث عن الحل الذي يخرجنا من أزمتنا الثقافية، "فانظر مالك بن نبي إلى العالم العربي الاسلامي نظرة من الداخل فكان ناقدا لوضعه من أجل بنائه وكانت رؤيته محددة للقضايا ان تم الاصلاح فيها على الأقل سيتمكن المسلمون من تجاوز الكثير من المشكلات العامة التي يعانون منها اليوم"[1].

في هذا الجزء نحاول أولا تشخيص مشكلة الثقافة الجزائرية وثاني العالم الإسلامي ككل، ثم التطرق الى الاصلاح الثقافي في رأي فيلسوف الحضارة مالك بن نبي.

يرى مالك بن نبي أن مشكلة الثقافة قد خلفها الإستعمار، وهذا ما دفع مالك بن نبي الى التفكير في الاصلاح والتجديد، قصد النهوض من التخلف الذي تعيشه الجزائر،فنجده يتحدث عن أسباب مشكلة الثقافة، ويشير الى أهم سبب وهو مشكل الجهل الذي أصابة النخبة المثقفة والتي هي ركيزة المجتمع وقوامه اذ يقول " انه الجهل الذي يلبسه أصحاب ثوب العلم فإن هذا النوع أخطر على المجتمع من جهل العوام لأن جهل العوام بين ظاهر يسهل علاجه، أما الأول فمتخفي في غرور المتعلمين"[2]. ومن هنا يرى مالك بن نبي أن العامة رغم ما تتبناه من فكر لا يمكنها أن تؤثر دون النخبة المثقفة، لكن الأخطر من

[1] – عويمر مولود، مالك بن نبي رجل الحضارة، دار الأمل، الجزائر، د ط، 2007، ص 41.

[2] – بن نبي مالك، شروط النهضة، المصدر السابق، ص 39.

ذلك ذوي الاختصاص اللذين يحملون مصير وفكر الأمة واللذين من شأني قرارهم أن تمس الجميع،" فلقد غلبت الحرفية على ثقافتنا، فظهر الحشو ولم تستطع البرامج بما يشوبها من عوامل انحطاط انتاج غبر حرفين منبثين في صفوف شعب أمي ففشت ظاهرة التعالم ، وغاب المثقف، وغلب المديح على حساب العرض الموضوعي لمشاكلنا"[1]

نجد مالك بن نبي كذلك يتحدث عن التشتت الحاصل في العلاقات الاجتماعية اذ يقول " إن التضامن والتكافل عنصر الثقافة والانحلال في العلاقات يضيق بالتشارك وهنا يغيب ذلك الالتحام، إن السقوط الاجتماعي الذي يصيب عالم الأشخاص يمتد لا محالة من الأفكار وإلى الأشياء في صورة افتقار"[2].

لهذا فإن " المظهر الأول من مظاهر الانحطاط هذا المجتمع هو تحلل الشبكة الاجتماعية، هو في الحقيقة تمزق لعالم الثقافة، باعتبارها المحيط الذي يسوق كيان الفرد فأي خلال يعود بالاحتفاظ على الجهود الجماعية والفردية"[3]

من هنا لا يمكن لهذه الأمة أن ترتقي إلى ثقافة متحضرة، من دون ربط بين ثلاثة عوالم عالم الأشخاص عالم الأشياء عالم الأفكار وهنا يؤكد على عالم الأشخاص لأن العلاقات الفاسدة تؤثر على العالمين الأخرين بدرجة سريعة وكبيرة، وهذا سببه انعدام التواصل بين فئات المجتمع الاسلامي، " والواقع أننا نلاحظ في هذا البلاد جميعا نوعا موحدا من

[1] – جيدل عمار، نقد مسالك المسلمين في التغير الاجتماعي عند مالك بن نبي، رؤى، مجلة فصيلة تعنى بقضايا التجديد ومستقبل الاسلام، مركز الدراسات الحضارية، باريس، العدد 20، 2003، ص 73.

[2] – بن نبي مالك، ميلاد مجتمع، المصدر السابق، ص 45.

[3] – خالد أسعد نورة، التغير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي دراسة بناء النظرية الاجتماعية، المرجع السابق، ص ص 186، 187.

النقص على وهو التنوع، فهناك الباشا والسوقي والمثقف والأمي دون أن يكون بين الطرفين، رسم صورة للكيان الاجتماعي"[1].

لقد أشار مالك بن نبي إلى سيطرة المادة وطغيانها، ومن بعد التحكم في الوعي والعقل فنجد مالك بن نبي يحذر من عالم الأشخاص الذي لا يحكمه وازع ديني يقر بمصداقية الشخص من فساده، لأنه كم من أمم هلكت بخداع من الدجالين وهذا نوع من فساد الأخلاق، وهي أعظم أزمة في الثقافة، حيث لا ضمير خلقي أو مهني تجاه الوطن.

يقول مالك بن نبي " أصبحت الحركة الجزائرية منذ ذلك الحين لا ترأسها فكرة بل تقودها أوثان، وليس يهمنا هنا الشكل، فليس الخطر من الانقياد إلى نوع من الدروشة ولكن الخطر من الانقياد الأعمى إلى الدروشة ذاتها"[2].

في هذا الطرح شخص مالك الأزمة التي عايشتها الجزائر في ظروف الإستعمار، فخرج الاستعمار وظلت التبعية له إذ يقول مالك بن نبي " إن جوهر المسألة هو مشكلتنا العقلية، ونحن لازلنا نسير ورؤوسنا في الأرض وأرجلنا في الهواء، وهذا القلب للأوضاع هو المظهر الجديد لمشكلة نهضتنا"[3]

ومنه ثقافة العالم الغربي تختلف عن ثقافة العالم العربي ومن هنا لا يصلح التطبيق أوالتفكير في إسقاط حلول مجتمع ما على مجتمع أخر، وهذا ما أكد عليه مالك بن نبي في قوله أن من المخاطرة أن نقتبس حلا أمريكيا أو حلا ماركسيا، ونطبقه على أي

[1] – بن نبي مالك، وجهة العالم الاسلامي، المصدر السابق، ص 152.

[2] – بن نبي مالك، شروط النهضة، المصدر السابق، ص 40.

[3] – المصدر نفسه، ص 40.

مشكلة تواجهنا في العالم العربي والإسلامي، لأننا هنا أمام مجتمعات تختلف أعمارها أو تختلف اتجاهاتها وأهدافها"[1].

إن العالم العربي الاسلامي ليست مشكلته منحصرة في محاولة فهم الثقافة وإنما في تحقيقها بصورة عملية.

"اذ يجب هنا أن نلاحظ أن كل ظاهرة اجتماعية لا تستقر في صورة نشأتها، فهي كائن مرتبط بحياة المجتمع وبين هذه الحياة تفاؤل جدلي ينسي نتائجها في المجتمع من حد الصفر إلى نقطة اللارجوع فالثقافة تنمو معها أيضا نتائجها من الحد الذي يمكن تداركه بالتعديل البسيط إلى الحد الذي يصبح فيه التعديل مستحيل أو لا يمكن إلى بثورة ثقافية عارمة وجادة، تكون في الحقيقة بمثابة الانطلاقة جديدة للحياة ألاجتماعية هنا تبرز الأزمة الثقافية ".[2]

"وفي هذا الظرف يخلق أما مجتمع متقهقر أو جامد استحالة لا يستطيع التقلب عليها فيستسلم كما يقولون للواقع بينما يخلق هذا الظرف نفسه بالنسبة لمجتمع أخر فرصة لفرصة جديدة لحركيته مثل الدفعة التي عملت بها الكثير من المجتمعات وعلى رأسها المجتمع الصيني التي سميت بالثورة الثقافية لم يشعب الصيني غنى عنها لمواجهه اي واقع يواجهه من أجل تعديله في الاتجاه الذي يريده ، وهنا نكون أمام حالاتين الاستسلام للواقع وبين الثروة العنيفة على أي واقع لا يستساغ ودرجات الهروب من المسؤولية، هي بالضبط درجات الأزمة التي يتخبط فيها المجتمع."[3]

[1] – المصدر نفسه، ص 37.

[2] –المصدر نفسه،ص91.

[3] المصدر نفسة،ص91.

"إن الثقافة في العالم العربي المعاصر مفقودة وفق هذه التجديدات، لهذا لا يجوز أن نتكلم أن ثقافة في هذا العالم، ولكن هنا الأمر متألق بمشروع ثقافة يتحقق وفق منهج تربوي يأخذ صورة فلسفية أخلاقية باتصال العالم العناصر في مجال الطبيعي ببعضها لتكوم مجموعات وتراكيب في نفسيتها، وهي عملية تحقق اتصال عالم العناصر بعالم الظواهر، وهذا ما ينتج الثقافة التي تتطلب توجيها وفق مفهوم الفعالية"[1].

"إن من المشاكل العديدة التي نطلق على مجموعها التخلف هي في الواقع تعبيرات مختلفة عن مشكلة واحدة ومفردة تواجه كل بلاد متخلفة أي أنها مشكلة حضارة، إذ أن الحضارة ليست كل شكل نوعي خاص بالمجتمعات النامية، بحيث يجد هذا الشكل نوعيته في استعداد هذه المجتمعات لأداء وظيفة معينة، ليس المجتمع المتخلف في حالة تكيف معها من حيث رغبته أو من حيث قدرته"[2].

وهكذا فإن المشكلة كما يتناولها مالك بن نبي " تطرح بصفة عامة ضمن ثلاثة أوضاع مختلفة: كيف تتكون ثقافة معينة؟ وماهو الدور الذي تؤديه؟ كيف يتم إعدادها؟ وهذه الأوضاع الثلاثة للمشكلة ذات قيمة على الصعيد النظري، إلا أنه من الواضح أن الوضع الثالث هو الذي يتضمن الجواب عن المرحلة التاريخية التي تنتظم بلاد كالجزائر باعتبارها بلاد بصدد الخروج من العهد الاستعماري مع كل المشاكل التي خلفها لها، إذن فإن مشكلة الثقافة هي التي تواجهنا على رقعة البلاد المتخلفة ولهذا فنحن عندما نقوم بالموازنة بين النمو والتخلف، على المستوى الجماعي أو بين الفعالية وعدم الفعالية على المستوى

[1] – سعيدي حمودة، مكانة الأفكار في الفلسفة الاجتماعية عند مالك بن نبي، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 1984-1985، ص 47-48.

[2] – بن نبي مالك، القضايا الكبرى، دار الوعي، الجزائر، ط 1، 2013، ص 67.

الفردي نكون هنا قد قمنا بالمقارنة بين مستويات ثقافية معينة أي بين ثقافة معينة من ناحية وبين شيء معين يمكننا لكي نحافظ على روح المنهجية التي تعتمدها"[1].

يقول مالك بن نبي " وعلى هذا فنحن عندما نطرح مشكلة الثقافة في بلاد متخلفة معينة لا نملك الخيار عند طرحها لأن الثقافة محددة بواسطة كل معطيات التخلف وبواسطة المعطى البشري أولا وبالذات، بحيث يتعين علينا أن نطرح المشكلة بالصورة الحاسمة في الشكل الدقيق الذي تواجهنا عليه، أي في وضعها الثالث: كيف تيتم إعداد ثقافة معينة؟ فهذا لا يجعلنا نهمل الوضعين الأخرين لأن وجهة نظرنا يمكنها أن تمثل حقلا أوسع للتحريات وأن تنفتح على ثقافات أخرى إذ ما أردنا ادراك الفعالية الضرورية التي تدفعنا إلى النهضة ومواكبة العالم الثقافي" .[2]

فالثقافة بوصفها مشكلة أفكار بالدرجة الأولى مرتبطة من البداية بصفتين رئيسيتين على المستوى الواقعي الفعالية ولا فعالية ووجودهما وفقدانهما مرهون بالشبكة الثقافية وهذا معناه أن الثقافة تظهر طبقا للظروف المادية والمعنوية المحيطة بها " فالمجتمع الاسلامي قد أدرك منذ قرن نهاية أشواط حضارية وهو اليوم من جديد في مرحلة ما قبل الحضارة ومنذ قرن تقريبا يحاول أن يتحرك من جديد لكن اقلاعه يبدوا عسيرا بالمقارنة مع المجتمع المعاصر كاليابان أو مجتمع جاء اقلاعه متأخرا كالصين اذ بالرغم من ذلك صنع طابعه"[3].

إن العالم الاسلامي يعاني اليوم بصورة خاصة، لأن نهضته لم يخطط ولم يفكر لها " فمثقفو المجتمع الاسلامي لم ينشئوا في ثقافتهم جهازا للتحليل والنقد إلا ما كان ذا اتجاه

[1] – المصدر نفسه، ص ص 69، 72.

[2] – أنظر، المصدر نفسه، ص 72.

[3] – بن نبي مالك، مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي، المصدر السابق، ص 77.

تمجيدي يهدف إلى إعلاء قيمة الاسلام بالرغم من أن الاسلام بريء من كل الاعطالات والتبريرات التي لا تعود إلا بالتراجع والجمود على المجتمعات الاسلامية[1].

ومنه لكي نقوم بإعداد الثقافة يجب أن نركب انتباهنا على مجموع الأطر الثقافية للمجتمع والحقيقة أن الأزمة الثقافية حسب مالك بن نبي " هي المعدن الذي تصاغ منه الكثير من الأزمان في الميادين الأخرى ومن هنا فلا يمكن أن نتصور تاريخا بلا ثقافة فالشعب الذي يفقد ثقافته يفقد حتما تاريخه وإذا كان المجتمع ينظر الى الانسان الذي يتوفى على أنه مات موتا ماديا فكذلك الأمر اذا ما أفقد صلته بالمجال الثقافي فإنه يموت موتا ثقافيا معنويا وتبقى القيمة الثقافية لكل فكرى ولكن الشيء تقوم على علاقتها بأفراد المجتمع، مع العلم أن لكل مجتمع خصوصيته لثقافية لهذا تختلف المجتمعات لاختلاف ثقافتها".[2]

ومنه إذا أرادت المجتمعات النهوض عليها أن تظهر عاداتها وتقاليدها وايطارها الثقافي بصفة عامة مما سماه مالك بن نبي العوامل القاتلة فعلا النخبة المثقفة أن تحمل المشعل فهي القاعدة التي ترتفع عليها الجماهير إلى المستوى الحضاري.

إن مشكلة المجتمع تعود الى مشكلة الثقافة كما أن السلبية تعود إلى فعاليتها فالمشكلة أساسا لا تنحصر في قمع الثقافة وانما في تحقيقها عمليا " في البداية لابد من تصفية الثقافة من العوامل السلبية وتجديد العوامل الايجابية كما فعلت الحضارة الاسلامية حين نقى القرآن الأفكار الجاهلية ثم رسم الطريقة للفكرة الاسلامية الصافية، ومن التصفية أي نعلم مشاكلنا الثقافية ومنها أن الكثير من المتعلمين اتخذوا مظهرا شكليا ليكون شخصية

[1] – المصدر نفسه، ص 78.

[2] – بن نبي مالك، مشكلة الثقافة، المصدر السابق، ص 123.

بارزة أو ليجلب رزقا وقبل خمسين عاما كنا نعرف مرضا واحدا وهو الأمية والجهل ولكننا اليوم نعرف مرض جديد هو التعالم"[1].

وعليه نجد مالك بن نبي يذكر لنا العديد من الأمراض التي أصابت الكيان المجتمع العربي الاسلامي ويذكر أن أخطر مرض أصاب المسلمين هو:

1-انحلال الأخلاق:

يعتبره مالك بن نبي أن من أخطر الأمراض التي أصابت العالم الإسلامي، حيث صاب هذا المرض النواحي الخلقية والاجتماعية والعقلية وفي هذا الصدد يقول مالك بن نبي"أخطر هذه النواحي هو الشلل الأخلاقي،إذهو يستلزم احيانا النوعين الآخرين.ومصدر هذا البلاء المعروف،فمن المسلم به الذي لا يتنازع فيه اثنان أن الاسلام دين كامل ... فنحن كاملون"[2].

2_انتشار الافاعلية:

كان من نتائج انحلال الأخلاق أن المسلم يحمل أفكار صحيحة ولكنه لايستطيع تطبيقها في دنيا الواقع كفريسة تعرضت للشلل حتى يسهل ابتلائها، لأن البيئة التي تحيط به وتغذيه بثقافتها أصبح مثلها الأعلى هو الزهد والصوفية، والمسلم في هذه الحالة إنما يغالط نفسه فيهرب الى هذه التعالات الصوفية الكاذبة.[3]

في المقابل نجد عند الغربين أفكار قد لا تلبث أمام النقد الموجه لها ولكنهم يستخدموها الى أقصى ما يستطيعون، مثل فكرة التقدم والمسلم يحمل القرآن ولكنه لا

[1] – عبده محمد، مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد اصلاحي، المرجع السابق، ص 121.

[2] _بن نبي مالك ،وجهة العالم الاسلامي ،المصدر السابق،ص85.

[3] – بن نبي مالك، أفاق جزائرية ، تر: الطيب شريف، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، د ط، 1991، ص 23.

يستفيد منه كثيرا في التخطيط للنهضة القادمة فعقلية انسان ما بعد الموحدين[1] تشله عن الابداع هناك خلل في طريقة تفكيره، فعندما اكتشف ابن نفيس الدورة الدموية لم يستفيد منها المجتمع الاسلامي لأنه لم يكن على المستوى الثقافي الذي يحيط هذا الاختراع بالرعاية والمشكلة " إن المجتمع ما بعد التحضر يسير الى الخلف بعد أن انحرف عن طريق حضارته وانقطعت صلته بها".[2]

بالإضافة الى هذا هناك عوامل أخرى يعبر بها المسلم عن عجزه ويعتبرها أسباب حقيقية على وهي الجهل والفقر والاستعمار وهذا ما يذكره الدكتور الطيب البرغوث في كتابه الفعالية الحضارية والثقافة السنينية يقول " أن الجهل والفقر والاستعمار هي العملة الشائعة التي تفسر بها حسن نوايا عجزهم كما يستخدمها الدجالون ليدافعوا على مشروعاتهم المبرحة، مشروعات الشعوذة والمخاتلة، والاستعمار باسم قرير العين"[3]، حيث أن انتشار هذه العوامل في المجتمع الاسلامي يؤدي إلى نتيجة سلبية تتمثل في اللامبالاة والرضا بالواقع المتدهور والأليم دون بذل الجهد لتغير ما خطط له الاستعمار، وهذا ما يسميه مالك بن نبي قابلية للاستعمار وهي: "جملة أوضاع وشروط فكرية ونفسية واجتماعية وسياسية سلبية، تضع المجتمع في حالة من الضعف والقصور والعجز إزاء التحديات المحيطة به، فيجد نفسه في حالة وهن حضاري يفقد القدرة على رد التحديات ويخضع لها مكرها"[4]

[1] – مصطلح ما بعد الموحدين: يطلقه مالك على المرحلة الأخيرة من مراحل الحضارة الاسلامية، حسب رؤيته في تفسير مشكلة الحضارة، فهو يوافق عنده المرحلة التي تتحلل فيها الحياة الاجتماعية، وتعود الى مرحلة البدائية، فهي مرحلة الأفول، التي يصبح الانسان فيها خارج نطاق الحضارة(أنظر بن نبي مالك، وجهة العلم الاسلامي، المصدر السابق، ص 31،32).

[2] – بن نبي مالك، مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي، المصدر السابق، صر 43.

[3] – البرغوث الطيب، الفعالية الحضارية والثقافة السنينية، دار قرطوبة، الجزائر، د ط، 2004، ص ص 87، 88.

[4] – البرغوث الطيب، حركة تجديد الأمة على خط الفاعلية الاجتماعية، دار قرطوبة، الجزائر، ط 1، 2014، ص 35.

يرى مالك بن نبي " إننا نرى في حياتنا اليومية جانبا كبيرا من اللافاعلية في أعمالنا، اذ يذهب جزء كبير منها في العبث والمحاولات الهازلة وإذا ما أردنا حصر لهذه القضية فإننا نرى سببها الأصيل في افتقادنا الضابط الذي يربط بين عمل وهدفه، بين السياسة ووسائلها، بين الثقافة ومثلها، بين الفكرة وتحقيقها، فسياستنا تجهل وسائلها وثقافتنا لا تعرف مثلها العليا، وإن ذلك كله ليتكرر في كل عمل نعمله وفي كل خطوة نخطوها"[1].

3-ذهان السهولة والاستحالة:

" اللذان يشملان حركة التغير ويكبلان الأيادي حتى تستغل ما في حوزتهما للخروج من ورطتها، وهذان الشكلان من أشكال الخيانة يتمثلان في العالم الاسلامي الحديث في صورة نوعين من الذهان، فإما أن يتمثلا في صورة النظر إلى أشياء على أنها سهلة"[2]، "وقد يحدث العكس فيرى المسلم أن الأمور مستحيلة ويقف أمامها عاجزا، وهي في الحقيقة غير مستحيلة ولكن ربما يضحمها عمدا حتى لا يتعب نفسه في الحل، أو أنه يشعر بضالة نفسه، وصغر همته فيحكم عليها بالاستحالة، وقد مرت فترة كانت بعض الشعوب تنظر الى صعوبة اخراج المستعمر من بلادها"[3].

4- الجدل والتبرير:

" يسجل مالك بن نبي سلبيتين في الثقافة الراهنة في مجتمع ما بعد الموحدين، حيث يغير الميل نحو الجدل والتبرير فالمتجادلون لا يبحثون عن حقائق وإنما عن براهين ولا يستمع المجادل الى محدثه بل يغرقه في الطوفان من الكلام، كما أنا المثقف يهتم بالدفاع عن المجتمع وتبريره عوض تجويله، ودون أي اهتمام للتخطيط الاجتماعي، ولقد ظلت هذه

[1]- بن نبي مالك، شروط النهضة، المصدر السابق، ص ص 102، 103.

[2] - عبادة عبد اللطيف، فقه التغير في فكر مالك بن نبي، موسوعة عام الأفكار، الجزائر، ط 2، ص 86.

[3] - بن نبي مالك، وجهة العالم الاسلامي، المصدر السابق، ص 80.

النزعة تسود ثقافتنا بشكل عطل العمل الثقافي الى عمل مخطط، وتصميم يبلور مذهبا في التغير الاجتماعي"[1].

5_طغيان عالم الأشياء: ان كل حضارة تقوم على ثلاثة عوالم : عالم الأفكار، عالم الأشخاص، عالم الأشياء وهناك ارتباط بين هذه العوالم الثلاثة شكل شبكة علاقات اجتماعية بحيث لا ينشأ مجتمع بدونها، وهكذا" فإن شبكة العلاقات هي العمل التاريخي الأول الذي يقوم به المجتمع ساعة ميلاده"[2] .

" ان الانسان وهو يتعايش مع العوالم الثلاث: الأشياء، الأشخاص، الأفكار، اذ تغلب أحدهما فذلك من شأنه أن يؤثر على شخصية الفرد وسلوكه"[3]، والخلل في العوالم الثلاث يشكل مصدرا للصعوبات التي تواجه جميع المجتمعات البشرية.

فالعالم الاسلامي اليوم يعاني من طغيان الأشياء في جميع المجالات:

أ-**على الصعيد الأخلاقي:** " فعندما يتجسد المثل الأعلى في شخص ما، هناك خطر مزدوج، فسائر أخطاء الشخص ينعكس ضررها على المجتمع الذي جسد في شخصه مثله الأعلى، وسائر انحرافات ذلك الشخص تترصد كذلك في خسائر وتكون هذه الخسارة اما في رفض للمثال الأعلى الذي سقط، وإما في ردة حقيقية يعتقد عبرها بإمكانية التعويض عن الاحباط باعتناق مثل أعلى أخر، وفي كلتا الحالاتين فنحن نستبدل مشكلة الأشخاص بمشكلة الأفكار"[4]. ومنه يتضح لنا أن هذا الاستبداد قد سبب كثيرا من الضرر بالأفكار

[1] – عبادة عبد اللطيف، فقه التغير في فكر مالك بن نبي، المرجع السابق، ص 84.

[2] – بن نبي مالك، ميلاد مجتمع، المصدر السابق، ص 85.

[3] – القريشي علي، التغير الاجتماعي عند مالك بن نبي منظور تربوي، القضايا التغير في مجتمع المسلم المعاصر الزهراء للعالم العربي، القاهرة، 1986، ص 144.

[4] – بن نبي مالك، مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي، المصدر السابق، ص 81.

الاسلامية المتجسدة بأشخاص ليسو أهلا لحملها، فمن ذا الذي يستطيع أن يجسد الأفكار دون أن يعرض المجتمع للخطر؟.

إن خطر التجسيد قد وضعه القرآن صراحة في الوعي الاسلامي بقوله: " وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله رسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم".[1]

ب-على الصعيد الاجتماعي: فتساغ الحلول بعيدا عن خصائصها النوعية، وانما بصياغات كمية استبعدت فيها سلطة المجتمع وظهر التبذير في الموارد والثروات، فقد أصبحنا نواجه طغيان الأشياء على مختلف الأصعدة " فعوض أن يكون الشيء وسيلة في خدمة الإنسان وتحت تصرفه يوجهه حسب الأهداف التي يطمح إلى تحقيقها، انعكست الآية عند المسلم اليوم وأصبح الشيء غاية تطلب لذاتها، ونتيجة ذلك كله هي أن الشيء قد طغى على عقلية الانسان ما بعد الموحدين، وصار هو الذي يتحكم في ارادته ويوجه سلوكه"[2]

ج-على الصعيد الفكري: حيث يقيم الكتاب بعدد صفحاته فلا يسأل المؤلف عن الموضوع الذي تناوله في بحثه، وانما يسأل عن عدد صفحات الكتاب، وقد يقع المؤلف نفسه في هذه النزعة فيفتخر بأنه أخرج كتابا من كذا صفحة[3].

وفي الفكر السياسي فتحل مشكلات التنمية بالاستثمار الأجنبي و زيادة ضرائب مما يشل النشاط الفردي ويشيع المحسوبية الضرائبية.

6-طغيان عالم الأشخاص: يقول مالك بن نبي "إن لطغيان الأشخاص نتائج ضارة على الصعيدين الأخلاقي والسياسي "[1]فا من ناحية الصعيد الأخلاقي ،عندما يتعلق الناس

[1] – سورة أل عمران، الأية 143.

[2] – بغداد باي محمد، التربية والحضارة، بحث في مفهوم التربية وطبيعة علاقتها بالحضارة في تصور مالك بن نبي، عالم الأفكار، د ط، 2006، ص 104.

[3] – أنظر: بن نبي مالك، مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي، المصدر السابق، ص 81.

بالأشخاص أكثر من تعلقهم بالمبدأ أو الفكرة فإنهم يرون أن انقاذهم من الحالة التي هم عليها بـ(البطل القادم) الذي ينتظرونه دون أن يقوموا بجهد يذكر حيث يصبح هذا البطل القادم هو المتحكم في زمام الأمور.

أما من ناحية الصعيد السياسي،حيث يتسبب (رجل القدر) في ارجاع العالم الاسلامي الحاضر في إفلاس فادح لسياسات عديدة وعند نسميه (رجل النحس) ويأتي أخر نتعلق به ونسميه(رجل القدر) وهكذا فمالك بن نبي يركز في كتبه على هذا المرض ويطالب المسلمين والشباب بشكل خاص، بأن يتحول الارتباط بالمنهج لا بشخص معين

7-طغيان عالم الأفكار:" يرى مالك بن نبي أن مشكلتنا ليست في نقص الأشياء ولا في طبيعة الأشخاص، وإنما مشكلتنا في فكرنا"[2].

" إن مشكلة المجتمع العربي والإسلامي إنه يعيش مرحلة مرضية، تنتقل فيها الجرثومة من جيل الى جيل، وما هذه الجراثيم سوى الأفكار ودراسة الحالة المرضية للعالم الاسلامي اليوم هي في أساسها دراسة لبعض الأفكار" [3]، ومن هذه الأفكار المطالبة بالحقوق دون تأدية الواجبات وهو الطريق الأسهل الذي تختاره الشعوب المستعمرة عند مطالبتها بالاستقلال وفي هذا الصدد يقول مالك بن نبي " لقد أصبحنا لا نتكلم إلا عن حقوقنا المهضومة ونسينا الواجبات، ونسينا أن مشكلتنا ليست فيما نستحق من رغائب بل فيما يسودنا من عادات وما يراودنا من أفكار، وفي تصوراتنا الاجتماعية بما فيها من قيم الجمال والأخلاق، وما فيها أيضا من نقائص تعتري كل شعب نائم".[4]

---

[1] -المصدر نفسه،ص81.

[2] – بن نبي مالك، حديث في البناء الجديد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1951، ص ص 12، 13.

[3] – المصدر نفسه، ص 8.

[4] – بن نبي مالك، شروط النهضة، المصدر السابق، ص 37.

بالإضافة الى هذا فإن الأفكار التي يحملها المجتمع فإذا كانت فعالة فإن تدفع بحركية التاريخ نحو التطور، أما إذا كانت الأفكار من التنوع الميت أو المميت فإنها تعيق المجتمع وتجعله صعبا إن لم نقول مستحيل " وكم عاشت الأمه الاسلامية خلال عدة قرون مضت تحت سلطة الفكر لا مسؤول، الذي خدر الأمة وعطل طاقتها وجمد إبداعاتها وكبل انطلاقتها حتى وصلت الى المستوى الذي نعاصر متاعبه الصعبة وأزماته الخطيرة ومشاكله الشاملة"[1].

الاصلاح الثقافي

" إن الثقافة من أكثر الظواهر الاجتماعية التصاقا بالكائن الانساني، بحيث لا يمكن تصور مجتمع بدون ثقافة".[2]

فالثقافة اليوم تعالج العديد من القضايا التي تمس تراث المجتمعات فتعتبر بذلك قوة توجه سلوك الفرد داخل المجتمع، ومنه هذه الأخيرة من الأدوات التي تنمي الفرد ثقافيا، فتقوم بإصلاح حال الفرد داخل المجتمعات من كل أشكال التخلف والتدهور، وبذلك يكون الاصلاح جزء من الثقافة لذلك ركز عليه مالك بن نبي، حيث أن عملية الصلاح عنده تبدأ:

1- بناء شبكة العلاقات الاجتماعية

يعرفها مالك بن نبي هي " مجموعة العلاقات الاجتماعية الضرورية التي توفر الصلات الضرورية داخل عوالم الأشخاص والأفكار والأشياء".[3] " [4]حيث أن أول عمل

[1] – أحمد زكي، مالك بن نبي ومشكلات الحضارة، دراسة تحليلية نقدية، دار الصفوة، بيروت، ط 1، 1992، ص 125.

[2] – بن نعمان أحمد، هذي هي الثقافة، دار الأمة، الجزائر، د.ط، د.س، ص 173.

[3] – بن نبي مالك، ميلاد مجتمع، المرجع السابق، ص 27.

[4] – شاويش محمد، مالك بن نبي والواضع الراهن، المرجع السابق، ص 30.

يؤديه المجتمع عند ولادته هو بناء شبكة العلاقات الاجتماعية ويضرب لذلك مثلا بميلاد المجتمع الاسلامي في المدينة، حيث أخى نبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار".

وعلى هذا الأساس نستطيع أن نقول أن شبكة العلاقات الاجتماعية هي العمل الأول الذي يقوم به المجتمع ساعة ميلاده، وفي رأي مالك بن نبي أن المجتمع يتكون من ثلاث مركبات هي: أشخاص، أفكار وأشياء، اذ يقول " أن غنى المجتمع لا يقاس مبدئيا بما فيه من أفكار لا بما فيه من أشياء، ويضرب بن نبي على ذلك مثالا ألمانيا المدمرة بعد الحرب العالمية الثانية حيث خسرت أشيائها بالكامل ولكنها استعادتها بسهولة بسبب غناها بالأفكار، ولكن الأفكار وحدها لا تكون فعالة عند تفكيك شبكة العلاقات الاجتماعية، ويضرب بن نبي بذلك مثلا الإسبان اللذين هزموا مسلمين الأندلس، فهم كانوا أفقر بالأفكار من المسلمين كثيرا ولكن شبكة علاقاتهم الاجتماعية كانت أقوى وأفضل."[1]

حيث نجد مالك بن نبي يؤكد من جهة أخرى على القانون الخلقي الذي يسهر على شبكة العلاقات الاجتماعية قوية ومنسجمة لابد لها من قانون يسهر عليها وهو القانون الخلقي "لأن الأخلاق شرط لتنظيم العلاقات الاجتماعية بما يلائم المصلحة العامة، والأخلاق اضافة للبعد النفعي بعد روحي وهو الدين لذي يهذب ويوظف الدافع الغريزي للتجمع في بوتقه ما يسمى الروح الخلقية، فإنه بذلك يحقق وظيفة الربط التي هي أساس التقدم الاجتماعي." [2]

ومنه يتضح لنا أن الدين هو الذي يخلق العلاقة الاجتماعية ويؤلف بين القلوب وكلما ضعف الدين زاد الفراغ الاجتماعي الذي لا علاقة فيه بين الناس، وعلى العكس المجتمع المؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، اذن فإن أساس تماسك العلاقات الاجتماعية هو"

[1] – المرجع نفسه، ص 31.

[2] – عباده عبد اللطيف، فقه التغير في فكر مالك بن نبي، المرجع السايق، ص 60.

الايمان الذي يولد الاندفاع والحركة التي تتجسد في فعل اجتماعي بحيث تعدوا كل علاقة غيبية، وقد تجسدت في علاقة اجتماعية."[1]

2- الدين ودوره في بناء العلاقات الاجتماعية

اذا كانت شبكة العلاقات الاجتماعية هي التي تؤمن بقاء المجتمع، وتحفظ له شخصيته فإن للدين دور مهم في بناء العلاقات الاجتماعية، "فالعلاقات الاجتماعية التي تربط الفرد بالمجتمع هي في الواقع ظل العلاقة الروحية في المجال الزماني".[2]

وفي هذا الصدد يقول مالك بن ني " فنفسية الفرد في المجتمعات التاريخية على الأقل مفعمة بالنزعة الدينية تلك التي تعد جزء من طبيعته، وهذا ما جعل علم الاجتماع يقول في تعريف الانسان، بأنه (حيوان ديني)، وهو بذلك يحدد جانبا من الأساس النفسي العام في أفراد النوع الواحد، وكل فرد يبني شخصيته الخاصة على هذا الأساس، وهكذا يظهر لنا من وجهة نظر علم النفس" [3] "أن العنصر الديني يدخل في تكوين الطاقة النفسية الأساسية لدى الفرد وفي تنظيم الطاقة الحيوية الواقعة في تصرف (الأنا) الفرد، ثم في توجيه الطاقة تبعا لمقتضيات النشاط الخاص بهذه (الأنا) داخل المجتمع تبعا للنشاط المشترك الذي يؤديه المجتمع في التاريخ."[4]

إن للدين دور فعال في تماسك العلاقات الاجتماعية وهو الذي يحفظ لها بقائها لأن العقيدة الاسلامية هي عقيدة اجتماعية ولابد أن نعلم العالم الاسلامي كيف يستعملها كأداة اجتماعية من جديد

[1] – خالد السعد نورة، التغير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي، المرجع السابق، ص 110.

[2] – بن نبي مالك، ميلاد مجتمع، المصدر السابق، ص 57.

[3] المصدر نفسه، ص 69.

[4] – المصدر نفسه، ص 74.

3-بناء الانسان الجديد غير قابل للاستعمار

إن المشكلة التي تعاني منها الأمة الاسلامية ليست مشكلة أدوات وامكانيات، ان المشكلة كانت في أنفسنا، "اذ علينا أن ندرس أولا الجهاز الاجتماعي الأول وهو الانسان لأنه لو صححنا معنى الانسان في أذهاننا لأدركنا مباشرة السبب في أنه يحرك التاريخ وأحيانا أخرى لا يحرك ساكنا، اذ يقول مالك بن نبي فإذا تحرك الانسان تحرك المجتمع والتاريخ وإذا سكن الانسان سكن المجتمع والتاريخ"[1]. وعلى هذا الأساس يعتبر الانسان الأساس الحقيقي الذي يعتمد عليه في بناء الحضارة "لأننا بحاجة إلى الانسان الجديد الانسان المتحضر الانسان الذي يعود الى التاريخ الذي خرجت منه حضارتنا منذ عهد بعيد وصياغة هذا الجهاز الدقيق الذي يسمى الانسان لا تتم بمجرد اضافة جديدة الى معلوماته القديمة، لأنه سيبقى هو قديما في عاداته الفكرية وفي مواقفه أمام المشكلات الاجتماعية في فعالياتها إزائها".[2]

ومعنى هذا أن الانسان هو جوهر التغير تغير نفسه من انسان قابل للاستعمار الى انسان حر غير قابل للاستعمار، بحيث أن "الحضارة كالحرية لا يمكن الحصول عليها الا بالإنسان المتعقل لفعله، والمدرك لوقته، والمتفاعل مع التراب، والمتناغم مع الطبيعة المتعلق بالمعارف العالمية على السواء، دون أن يتحول إلى زبون يستهلك ولا ينتج".[3]

ونجد مالك بن نبي يؤكد ويلح ويكرر على التحرر الفعلي من هيمنة الاستعمار اذ يقول" أن هناك نتيجة منطقية وعملية تفرض نفسها وهي أنه لكي نتحرر من أثر الاستعمار يجب أن نتحرر أولا من سببه، وهو القابلية للاستعمار[4].

---

[1] – بن نبي مالك، تأملات، المصدر السابق، ص 29.

[2] – المصدر نفسه، ص135.

[3] – بوعرفة عبد القادر، الانسان المستقبلي في فكر مالك بن نبي، دار الغرب، الجزائر، د.ط، د.س، ص 11.

[4] بن نبي مالك، وجهة العالم الاسلامي، المصدر السابق، ص 59.

4- تحقيق الفعالية

تعرف الفعالية بأنها حركة الانسان في صناعة التاريخ، اذا تحرك الانسان تحرك المجتمع والتاريخ وإذا سكن الانسان سكن المجتمع والتاريخ، ولتحقيق هذه الفعالية لابد من هناك شروط:

1-ربط الفكرة بالواقع والعمل حيث يقول مالك بن نبي "يجب أن كل فكرة نستودعها في التربة لابد أن يأتي اليوم الذي تنموا فيه، وتغذينا من ثمارها أي أن كل فكرة نستطيع أن نوصلها الى الضمير الانساني يجب أن تطمئن على عدم صياغتها وفنائها بل أنها ستحظى طريقها بهدوء في مجرى البنية الثقافية للمجتمع للتطور شيئا فشئيا، ولا تلبث أن تتحول الى واقع مجسد إن هي وجدت الأرضية الملائمة لانتشارها أو اللحظة التاريخية التي تندفع بها الى الواقع".[1]

ويتضح لنا من خلال هذا أن ربط الفكرة بالواقع والعمل تعتبر وسيلة للنهوض والتحضر يقول مالك بن نبي " لابد لي هنا أن أدعوا شبابنا المثقف لأن تكون كل محاولة في أذهانهم تهدف الى تطبيق عملي.[2] ومن هنا نجد مالك بن نبي يركز على ربط الفكرة بالعمل، وهذا ما دعى اليه الدين الاسلامي الى اقتران الأفكار بالتطبيق، وتحويل الأقوال الى أعمال وهذا ما جاء في قوله تعالى " يا أيها اللذين أمنوا لما تقولون مالا تفعلون مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ".[3] والشرط الثاني من شروط الفعالية استعمال القدرات الذاتية التي يمتلكها الانسان وتوظيفها للسيطرة على ذاته، وعلى الانسان أن يعتمد على قراراته الذاتية ولا ينتظر الساعة التي تتوفر له فيها جميع الامكانيات والتي يمكن أن لا تأتي مادمنا ننتظر ولا نعمل، ومن شروط تحقيق الفاعلية أيضا يقول مالك بن نبي إعادة

[1] – بن نبي مالك، وجهة العالم الإسلامي المصدر السابق، ص 161.

[2] – بن نبي مالك، تأملات، المصدر السابق، ص 25.

[3] – سورة الصف، الآية 2-3.

النظر في معرفتنا للتاريخ وعلاقته بالسلوك الانساني وتحديد مسؤوليتنا التاريخية بعد فهم القوانين والسنن التي تتحكم في ضرورة الحياة الاجتماعية، وعليه يمكن القول أن عنصر الفعالية هو من أهم العناصر المهمة عند الانسان وتلعب دورا فعالا في حياته.

نظرية الثقافة عند مالك بن نبي

لقد أولى مالك بن نبي اهتمامه بنظرية الثقافة التي استحوذت على أكبر قسط من تراثه الفكري، ومع أنه بحثها بنسبة أو بأخرى في كل مؤلفاته إلا أنه ركز الحديث حولها في مجموعة من الكتب هي شروط النهضة، مشكلة الثقافة، مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي.

ونظرا لأهمية وظيفة الثقافة في الحياة بوجه عام، فإن مالك بن نبي كانت له رؤية خاصة للثقافة استطاع من خلالها أن يبلور نظرية في الثقافة، تختلف في تعريفها وعناصرها عن المفهوم السائد عن الثقافة لدى علماء الاجتماع وانثروبولوجيا.

لقد اعتبر مالك بن نبي " أن الأفكار التي عرضها حول فكرة الثقافة، كانت غريبة في الوسط الثقافي العربي، ولم يسبقه اليها دارس عربي من قبل وأنه قد تناول قضية الثقافة من زاوية جديدة في تقديره أن غرابة الأفكار التي توصل اليها تلجأ الى آمرين"[1].

أولا:" لأنها لم تتوخى منهج الدراسات الغربية في الموضوع لأسباب منهجية.

ثانيا: لأن الأفكار المعروضة ليست في جوهرها إلا امتداد وشرحا وتحليلا من ناحية وتركيب من ناحية أخرى للأفكار التي قدمها في احدى فصوله (كتاب النهضة) الذي نشره منذ ربع قرن باللغة الفرنسية أي عندما كان الموضوع بكر لا بالنسبة للعالم الاسلامي فحسب بل أيضا في بلاد الغرب".[2] فالأفكار التي عرضها مالك بن نبي كانت لافتة للغرابة في اتباعه المنهج التحليلي والتركيبي النفسي للثقافة "وهذا ما ميز الخطاب الفكري لمالك بن نبي، الخطاب الذي تحصن من اشكالية الاستلاب والتغريب والتباهي بالفكر

[1] – بوعرفة عبد القادر وآخرون، تأملات في فكر مالك بن نبي، دار القدس، وهران، ط 1، 2014، ص 23.
[2] – المرجع نفسه، ص 124.

الأوروبي ومع شدة تواصل بن نبي مع منابعه وفلسفاته ومذاهبه الفكرية والاجتماعية، هذا ما جعله مؤثرا في التكوينات الفكرية للمثقفين"[1].

ومنه يتخذ موضوع الثقافة عند مالك بن نبي اتجاهين اثنين،التحليل النفسي للثقافة والتركيب النفسي للثقافة.

1-التحليل النفسي للثقافة

"قد حاول مالك بن نبي أن يتتبع بصورة سريعة وعامة بعض الملامح التاريخية التي ساهمت في تكوين مفهوم الثقافة، من أين جاءت كلمة الثقافة؟، ومنذ متى استخدمت في اللغة العربية؟ وكيف تبلور هذا المفهوم وتطور وتحدد في الثقافة الأوروبية؟."[2]

يقول مالك بن نبي "ان أول فكرة تخطر لنا للإجابة على هذه الأسئلة:

أولا للإجابة عن السؤال من أين جاءت كلمة الثقافة ومنذ متى استخدمت في اللغة العربية؟" أن نستشير قاموسا، ولكن القواميس الموجودة بين أيدينا لا تذكر هذه الكلمة إلا إلماما سواء في ذلك القديمة والحديثة. فلسان العرب يقول في المجلد العاشر: يقال ثقفا الشيء وهو سرعة التعلم ويقول ابن دريدا: ثقفت الشيء حذقته"،[3] وفي "حديث الهجرة: هو غلام شاب لقن ثقف(رواه البخاري)، أي أنه ذوا فطنة وذكاء والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاجه اليه، والعلامة فريد وجدي يقول في (دائرة معارف القرن العشرين-المجلد الثاني): ثقف يثقف ثقافة: فطن وحذق، وثقف العلم في أسرع مدة أي أسرع أخذه، وثقف يثقفه

[1]- أنظر: الميلاد زكي، مشكلة الثقافة عند مالك بن نبي (النظرية والمنهج والتطور)، بحوث الملتقى الدولي حول مالك بن نبي واستشراف المستقبل، ج 1، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2011، ص 168.

[2] – المرجع نفسه، ص 166.

[3] – بن نبي مالك، مشكلة الثقافة، المصدر السابق، ص 19.

ثقافا: غلبه في الحذق، والثقيف: الحاذق الفطن. والقواميس الحديثة تقول: ثقف ثقافة: صار حادقا خفيفا، وثقف الكلام فهمه بسرعة".[1]

يقول مالك بن نبي " فإذا ما رجعنا قليلا في مجال هذا البحث لم نجد أثر لتلك الكلمة في لغة بن خلدون، ... ولو ردنا في رجوعنا الى ما قبل ذلك لم نجد الكلمة مستعملة في العصر الأموي والعباسي، اذ لا أثر لها في اللغة الأدبية، وفي اللغة الرسمية والادارية لذلك العصر."[2]

وما خلص اليه مالك بن نبي " أن ليس علينا أن نعجب اذ لم نجد كلمة (الثقافة) في وثائق العصر أو في مؤلفات بن خلدون لأن فكرة الثقافة حديثة جاءتنا من أوروبا...اذ نجد أن الكتاب يقرنون دائما كلمة الثقافة بكلمة culture.[3]

" والتحليل التاريخي الذي قدمه بن نبي في هذا المجال لعله كان مهما ولافتا بعض الشيء في وقته، وبالذات على مستوى الكتابات والأدبيات العربية والإسلامية التي لم تكن لامعه، ولم تشهد تجديدا وتراكما مبكرا ومهما في هذا الشأن، أما اليوم فإن صورة ذلك التحليل التاريخي قد تغيرت من حيث أهميته وقيمته، وبات يظهر لنا وكأنه شديد العمومية والاختزال ولا يقدم تحليلا كاملا ومستفيضا، ولا حتى معمقا في حفريته المعرفية والتاريخية."[4]

لقد كان التحليل التاريخي الذي قدمه مالك بن نبي مجرد تمهيد قام به مالك بن نبي ليؤكد لنا حقيقة جوهرية هي أن كل مجتمع بحاجة الى تكوين فهم مستقل وخاص به لطبيعة مشكلته الثقافية. ومنه يرى مالك بن نبي أن الثقافة لها نوعيتها وطبيعتها الخاصة

[1] – المصدر نفسه، ص 19.

[2] – المصدر نفسه، ص 20.

[3] – المصدر نفسه، ص 24.

[4] – الميلاد زكي، مشكلة الثقافة عند مالك بن نبي (النظرية والمنهج والتطور)، المرجع السابق، ص 166.

في كل مجتمع بالشكل الذي يمنع استيراد الحلول من مجتمع أخر له مرحلته التاريخية المختلفة وهذا ما يؤكده مالك بن نبي بقوله " ان من المخاطرة أن نقتبس حلا أمريكيا أو حلا ماركسيا كما هو نطبقه على أية مشكلة تواجهنا في العالم العربي والإسلامي، لأننا هنا أمام مجتمعات تختلف أعمارها وتختلف اتجاهاتها وأهدافها."[1]

لقد اعتنى مالك بن نبي كثيرا بمناقشة مختلف لأفكار والتصورات سواء منها ما عبر عن وجهة النظر الغربية أو الماركسية ونقدها واعتبرها ناقصة ليس في حد ذاتها وإنما وجد أنها لا تصلح للمجتمعات العربية الاسلامية لظروف نفسية، زمنية، اجتماعية ...الخ، اذ يقول " لاشك أن فيما عرضناه من أراء مختلفة اشارت ثمينة، لكن هذه الاشارت على الرغم من أنها لا تقدر بثمن، ليست في الحقيقة حلا لمشكلتنا، فإن للمشكلات الاجتماعية نوعيتها التاريخية، وهذا يعني أن ما يصلح لمجتمع معين في مرحلة معينة من تاريخه، قد تنعدم فائدته تماما بالنسبة له في مرحلة أخرى".[2]

من هنا يؤكد مالك بن نبي على فكرة التمايز والاستقلال الثقافي من خلال مناقشته لمختلف الأفكار والتصورات التي قدمها المفكرين حول الثقافة وتعريفاتها، "ان مالك بن نبي لا يرى في التعريفات المطروحة للثقافة سواء ما عبر عن وجهة النظر الغربية أو الماركسية ما يدعوا الى الاعتراف وليس رجعا ناقصا الى خطأ فيها، وانما لأن مضمونها كما يقول مالك بن نبي لا يمكن أن يعطينا مفتاح لحل المشكلة فالظروف النفسية والزمنية للمجتمعات العربية والإسلامية وعلى الرغم من أن هذه التعريفات حسب ما يرى مالك بن نبي أنها مكتملة في فكر أصحابها بواسطة عنصر ضمني تقدمه الحضارة الغربية في جانب والاديولوجية الماركسية في جانب آخر[3].

[1] – بن نبي مالك، مشكلة الثقافة، المصدر السابق، ص 37.

[2] – المصدر نفسه، ص ص 36، 37.

[3] – الميلاد زكي، مشكلة الثقافة (النظرية والمنهج والتطور)، المرجع السابق، ص 170.

يقول مالك بن نبي فتعريف"(لنتون) الذي يرى الثقافة على أنها مجموعى من الأفكار سليم ولكنه ناقص من نواحي عديدة، وتعريف (أوجبران) الذي يرى الثقافة على أنها جملة من الأشياء والأفكار سليم أيضا، ولكنه ناقص من نواحي أخرى، أما التعاريف الماركسية للثقافة التي تذهب إلى أنها انعكاس للمجتمع، فهي سليمة أيضا دون أن تكون أكثر اقناعا في وطن تقتضي المشكلة فيه حلا أساسيا، أي حيث لا تكون المشكلة فهم وتفسير لواقع اجتماعي معين بقدر ماهي مشكلة خلق لهذا الواقع الاجتماعي[1]. ومن هنا يرى مالك بن نبي أن تصورنا تعريفا للثقافة لا يتحدد من زاوية نظرية فحسب بل لابد أن يضاف اليه البعد العملي، وعليه يقول " فلو افترضنا أن تعريفا معينا توفر له شرط الصحة، ولكنه في ذاته مقتصر على الجانب النظري، لم يكن في رأينا كافيا في بلد لا تساعد ظروفه العامة على تكملة مضمونه بطريقة ضمنية، فعندما يضع أمريكي مشكلة الثقافة في اطار نظري، فإن مضمون الثقافة الأمريكية محدد من قبل بحكم الظروف العامة الناتجة عن الحضارة الغربية".[2] "وعندما يذهب الماركسي نفسه في تعريفها، فان مضمون الثقافة التي يعرفها مكمنا ضمنيا بفضل الايديولوجية الماركسية، أما عندما يراد تعريف الثقافة تعريفا نظريا في بلد ليس فيه ما يكمن هذا التعريف ضمنيا سواء بما توفر لديه من تراث تاريخي أم إيديولوجي فإن الأمر يصبح مشكلا يحتاج معه الى إيضاح".[3]

هذه هي النتيجة التي تخلص اليها مالك بن نبي ومنه يقول مالك بن نبي أننا نجد أنفسنا منساقين مع طبيعة المشكلة الخاصة بالبلاد العربية والاسلامية الى تطبيق منهج أخر هو المنهج الذي يستخدم في تعريف الشيء المعقد " وهذا الشيء المعقد يقصد به بن نبي أننا أمام تعريف الثقافة نجد أنفسنا مضطرين الى أن ننظر الى المشكلة في ثلاثة اتجاهات

[1] – بن نبي مالك، مشكلة الثقافة، المصدر السابق، ص 39.

[2] –المصدر نفسه، ص 40.

[3] – المصدر نفسه، ص 40.

حتى يتسنى لنا، ضم عناصرها النفسية وعناصرها الاجتماعية، وتقرير العلاقة بين هذه العناصر في اطار صياغة تربوية تجعل من تعريف الثقافة قابلة للتنفيذ."[1]

وفي هذا الاطار يقول الدكتور عبد اللطيف عباده" تشبه وظيفة الثقافة في المجتمع وظيفة الدم في الجسم فهو يتركب من الكريات الحمراء والبيضاء، فكلاهما يسبح في سائل واحد من البلازما، ليغذي الجسم، فالثقافة هي الدم الذي يسري في الجسم الاجتماعي يغذي حضارته ويحمل أفكار العلماء كما يحمل أفكار العالم، وكل هذه الأفكار منسجمة في سائل واحد من الاستعدادات المتشابهة والاتجاهات الموحدة والأذواق المناسبة، وفي هذا المركب الاجتماعي للثقافة ينحصر برنامجها التربوي."[2]

والخلاصة أن مالك بن نبي الذي افتتح حديثه عن الثقافة وجد أن هذه الكلمة لم تكتسب قوة التحديد في اللغة العربية، كالذي هو موجود في الثقافة الأوروبية وهذا حسب قوله "ومن هنا نفهم أن كلمة ثقافة في اللغة العربية لم تكتسب الى الآن قوة التحديد التي كان لنظيرتها الأوروبية. وإننا مضطرون من أجل هذا الى أن نقرنها بكلمة (culture) في مؤلفاتنا الفنية، حتى كأنها دعامة تشد من أزرها من عالم المفاهيم".[3] فهي على حد تعبيره لا تزال في اللغة العربية تحتاج الى عكاز أجنبي مثل كلمة (culture) كي تنتشر.

"كان من السهولة لمثل هذه النتيجة أن تقود بن نبي الى الخضوع الى الثقافة الأوروبية والاستسلام لها، وتدفع به نحو التغريب والاستلاب، كما دفعت بالكثيرين قبلهم وبعده لكن هذا الأمر لم يحصل مع بن نبي الذي ظل يقاوم التغريب والاستلاب والاستسلام للثقافة الأوروبية، وبذل جهدا في سبيل تعزيز التمايز والاستقلال الثقافي."[4] وعليه يمكن القول أن

[1] – الميلاد زكي، مشكلة الثقافة (النظرية، المنهج، التطور)، المرجع السابق، ص 171.

[2] – عباده عبد اللطيف، فقه التغير في فكر مالك بن نبي، المرجع السابق، ص ص59، 60.

[3] – بن نبي مالك، مشكلة الثقافة، المصدر السابق، ص 26.

[4] – الميلاد زكي، مشكلة الثقافة(النظرية، المنهج، التطور)، المرجع السابق، ص 172.

غرض مالك بن نبي من حديثه عن التحليل النفسي عن الثقافة هو أن نستقل في فهمنا للثقافة وتحليلنا لمشكلة الثقافة.

2-التركيب النفسي للثقافة

يرى مالك بن نبي أن العالم العربي الاسلامي يختلف في مواجهته في مشكلة الثقافة عن العالم الغربي وهذا الاختلاف يتحدد تبعا لدرجة التطور والتمدن في كل مجتمع ولطبيعته المرحلية التاريخية. ويقصد مالك بن نبي بالتركيب النفسي للثقافة هو الاجابة عن السؤال كيف نطبق الثقافة؟ فمالك بن نبي يرى أن المشكلة ليست منحصرة في محاولة فهم الثقافة، وإنما بكيفية تحقيقها وتمثلها بصورة عملية وتطبيقية.

لقد بدأ مالك بن نبي بالتحليل النفسي للثقافة لأنه "لابد أولا من تحديد فهم الثقافة الفهم الذي يحتاج الى منهج يحدد طبيعة ومحددات هذا الفهم للثقافة، الذي يفترض أن يتناغم ويستجيب للشروط التاريخية، ودرجة التطور الحضاري، ونوعية المشكلة الاجتماعية. وهذه الطريقة في النظر هي التي يصطلح عليها بن نبي بالتحليل النفسي والعمل على تحويل هذا الفهم للثقافة من حيز النظرية وعالم الأفكار، الى حيز الواقع وعالم التطبيق، بحيث تتصل الثقافة بالمجتمع، ويتصل المجتمع بها، هذه المهمة يصطلح عليها بن نبي بالتركيب النفسي."[1]

فحين يشرح مالك بن نبي نظريته في الثقافة، فإنه يحاول أن يحدد فهمها في اطار التاريخ، وتطبيقها يحدده في اطار التربية.

[1] – المرجع نفسه، ص 174.

1-معنى الثقافة في التاريخ:

فالثقافة حسب مالك بن نبي ينبغي أن يتصل معناها بالتاريخ، حيث يقول أننا "لا يمكن لنا أن نتصور تاريخا بلا ثقافة، فالشعب الذي يفقد ثقافته يفقد حتما تاريخه، فالثقافة هي تلك الكتلة نفسها بما تتضمنه من عادات متجانسة وعبقريات متقاربة وتقاليد متكاملة، وأذواق متناسبة، وعواطف متشابهة، وبعبارة جامعة هي كل ما يعطي الحضارة سمتها الخاصة".[1]

2-معنى الثقافة في التربية

أما معنى الثقافة في التربية يتم من خلال صياغة هدفها وما تتطلبه من وسائل التطبيق بحيث أن الثقافة والتربية مرتبطان " فهما يشتملان كل ما له مدخل في تكوين الانسان من حيث فكره وروحه وعواطفه وأحاسيسه ومهاراته العملية وسائر ملاكته".[2]

لقد ارتبطت الثقافة بوسائل التطبيق للوصول للهدف باعتبار أن الثقافة ليست علما خاصا بطبقة من الشعب دون أخرى، وإنما هي دستور تتطلبه الحياة العامة. وعلى هذه القاعدة يقول مالك بن نبي "فالثقافة باعتبارها مصدر لوجود السلوك ليست مقصورة على صنف اجتماعي معين. ولكنها تشمل جميع الطبقات الاجتماعية، فالبيئة تعد اذن بمثابة الرحم بالنسبة الى القيم الثقافية...فهي بيئة تمارس مفعولها على الراعي وعلى العالم سواء، وهي الوسط الذي يتشكل داخله الكيان النفسي للفرد بنفس الصورة التي يتم بها تشكل كيانه العضوي داخل المجال الجوي الحيوي الذي ينظمه."[3]

---

[1] – بن نبي مالك، شروط النهضة، المصدر السابق، ص 92.

[2] – النجار عبد المجيد، الشهود الحضاري للأمة الاسلامية، عوامل الشهود الحضاري، دار الغرب الاسلامي، بيروت ط 1، 1999، ص 289.

[3] – بن نبي مالك، أفاق جزائرية، تر: الطيب شريف، مكتبة النهضة الجزائرية، د.ط، د.س، ص ص 124، 125.

على هذا الأساس " فإن الثقافة تشتمل في معناها العام على اطار حياة واحدة يجمع بين راعي الغنم والعالم جميعا، توحد بينهما مقتضيات مشتركة، وهي تهتم في معناها في كل طبقة من طبقات المجتمع فيما يناسبها من وظيفة تقوم بها".[1]

بهذا تعتبر الثقافة نظرية شاملة تعبر الروح وفلسفة المجتمع الحضاري، لذلك نجد الدكتوراه سامية السعاتي تقول: "ان الثقافة تشكل طباع الانسان، وتسبغ شخصيته بصبغة متميزة وتزوده بنظرية في المعرفة، ومنهج في السلوك ومنهجية في العمل والبناء."[2]

عناصر الثقافة

"أكثر ما يحدد نظرية بن نبي في الثقافة، ويميزها عن النظريات الأخرى هو عناصر ومكونات الثقافة، ففي اعتقاد بن نبي أن الثقافة لا تقوم بوظيفتها التربوية في توجيه الأفكار، وفي مهمتها الحضارية باتجاه النهضة، إلا من خلال عناصر الثقافة ومكوناتها والتي هي"[3]:

1-التوجيه الأخلاقي أو المبدأ الأخلاقي

" لسنا هنا نهمتم بالأخلاق من الزاوية الفلسفية، ولكن من الناحية الاجتماعية وليس المقصود هنا تشريع مبادئ خلقية بل نحدد قوة التماسك اللازمة للأفراد في مجتمع يريد تكوين وحدة تاريخية، هذه القوة مرتبطة في أصلها بغريزة الحياة في الجماعة عند الفرد، والتي تتيح له تكوين القبيلة والعقيدة والمدينة والأمة، وتستخدم القبائل

[1] – بن نبي مالك، مشكلة الثقافة، المصدر السابق، ص 77.

[2] – السعاتي سامية، الثقافة والشخصية، دار النهضة العربية، القاهرة، ط 2، 1983، ص 33.

[3] – بن نبي مالك، شروط النهضة، المصدر السابق، ص 94.

الموغلة في البداوة هذه الغريزة لكي تتجمع، والمجتمع الذي يتجمع لتكوين حضارة، فإنه يستخدم الغريزة نفسها، ولكنه يهذبها ويوظفها بروح خلقية سامية."[1]

هذه الروح الخلقية مهمتها في المجتمع ربط الأفراد ببعضهم البعض بأوصار المحبة والتعايش والتعاون طبقا لما يؤكده سبحانه وتعالى " وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم".[2]

" فالمبدأ الأخلاقي صلات اجتماعية، يربط المجتمع بروح واحدة هي المبدأ نفس فهو الأساس الذي يبرز الثقافة الى حيز الوجود، والذي لا يمكن أن يوجد خارج الفكرة الدينية المصدر الوحيد للفضيلة والأخلاق، وهذا معناه أن القيم الخلاقية ذات فعالية في البناء الاجتماعي".[3] حيث يرى مالك بن نبي أن العلاقات الشخصية بين الأفراد لا تقوم في أي مجتمع من دون أساس أخلاقي.

2-التوجيه الجمالي

يرى مالك بن نبي أن الجمال له تأثير في الروح الاجتماعية، لهذا يعتبره من أهم العناصر الديناميكية في مكونات الثقافة اذ يقول " لا يمكن لصورة قبيحة أن توحي بالخيال الجميل فإن منظرها القبيح في النفس خيالا أقبح والمجتمع الذي ينطوي على صورة قبيحة، لابد أن يظهر أثر هذه الصورة في أفكاره وأعماله ومساعيه. وعليه يعتبر الذوق الجمالي شرط من شروط الفعالية شأنه شأن المبدأ الأخلاقي،" فالحديث عن المبدأ الأخلاقي لا ينفك عن الحديث عن الجمالي ذلك أن المبدأ الجمالي شأنه في ذلك شأن المبدأ الأخلاقي، يعد من الدعامات الأساسية التي يتأسس عليها البرنامج التربوي للثقافة، كما يتصوره مالك بن

[1] – الميلاد زكي، مالك بن نبي ومشكلات الحضارة، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط 1، 1998، ص 99.

[2] – سورة الانفال، الاية 63.

[3] – سعيدي حمودة، مكانة الأفكار في الفلسفة الاجتماعية عند مالك بن نبي، المرجع السابق، ص 129.

نبي".[1] يقول مالك بن نبي "إن الثقافة تمنحنا قيم جمالية، اذ المجتمع الذي تأسس وتكونت وحدته على أساس أخلاقي، على ما نسميه المبدأ الأخلاقي، يتطلب صورة ومظهر يتطلب تنظيمه الشكلي من حيث ملبسه ومعاشه وترتيب أشياء بيته، الأشياء التي تتصل القيم الجمالية لذلك فإن الثقافة تمدنا بالذوق الجمالي وتنمي فينا هذا الذوق".[2]

3-المنطق العملي

يقصد به مالك بن نبي ليس المنطق العملي الذي دونت أصوله ووضعت قواعده من قبل أرسطو، وإنما يعني به كيفية ارتباط العمل بوسائله ومقاصده حيث "يعتقد مالك بن نبي أن الذي ينقص الانسان المسلم ليس منطق الفكر ولكن منطق العمل والحركة فهو لا يفكر ليعمل بل ليقول كلاما مجردا، وأكثر من ذلك أنه قد يبغض اللذين يفكرون تفكيرا مؤثرا، ويقولون كلاما منطقيا من شأنه أن يتحول الى عمل نشطا."[3]

4-التوجه الفني أو الصناعة

يرى مالك بن نبي أن هذا المفهوم هو كل ما يرتبط بالفنون والمهن والقدرات وتطبيقات العلوم حيث يعتقد أن المبدأ الأخلاقي والذوق الجمالي والمنطق العملي، هذه العناصر لا تكون وحدها شيئا من الأشياء حسب رأيه إن لم تكن في أيدنا وسائل معينة لتكوينه والصناعة هي تلك التي تعطينا تلك الوسائل، "بحيث تمثل الصناعة بالنسبة للفرد وسيلة

[1] – بغداد باي محمد، التربية والحضارة، بحث في مفهوم التربية وطبيعة علاقتها بالحضارة في تصور مالك بن نبي المرجع السابق، ص 153.

[2] – بن نبي مالك، مجالس دمشق، تر: عمر مسقاوي، عبد الصبور شاهين، دار الفكر ، دمشق، 2005، ص 110.

[3] – الميلاد زكي، مالك بن نبي ومشكلات الحضارة، المرجع السابق، ص 102.

للعيش، فإنها بالنسبة للمجتمع وسيلة للمحافظة على كيانه، وهذا هو العامل الذي جعل مالك بن نبي يصنفها على أنها العناصر المهمة للثقافة."[1]

وفي الأخير ينتهي مالك بن نبي الى تعريف الثقافة "على أنها مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لاشعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه."[2]

وما نستنتجه أن المبدأ الأخلاقي والذوق الجمالي والمنطق العملي والتوجيه الفني أو الصناعة هذه العناصر الأربعة مرتبطة ومتكاملة فيما بينها، هذا التكامل يبدأ من الفكرة وينتهي بالانتاج، فالتوجيه الأخلاقي يولد الدافع وهذا الدافع يتحول الى هندسة أنيقة تتصف بالذوق الجمالي، ثم تأتي مرحلة تحويلها الى فعل وعمل وهذا العمل ينبغي أن يصبح خبرة ومهنة وصناعة.

وعليه يمكن القول أن مالك بن نبي لقد استطاع أن يبلور نظرية في الثقافة ويستقل بها في العالم العربي، فلقد تميزت هذه النظرية بالابداع والتجديد من خلال طريقة تحليله لمفهوم ومشكلة الثقافة، ولقد ارتكزت هذه النظرية عند مالك بن نبي على قاعدة التمايز والاستقلال الثقافي من جهة وتفكيك العلاقة بين الثقافة والعلم من جهة أخرى، وربط الثقافة بالحضارة، وسوف نتطرق اليه في الفصل الموالي.

[1] – محفوظ محمد، صحيفة الرياض اليومية الصادرة عن مؤسسة اليمامة الصحفية، العدد 14176، 17 أفريل 2007 ص 5.

[2] – الميلاد زكي، المسألة الثقافية من أجل بناء نظرية في الثقافة، المركز العربي الثقافي، المغرب، ط 1، 2005، ص 37.

الفصل الثالث: الثقافة بين العلم والحضارة

- ❖ الثقافة والعلم
- ❖ الثقافة والحضارة

الثقافة والعلم

إن المتأمل لكتابات مالك بن نبي يجد أن هذا الأخير لم يخصص كتابا معينا ضمن كتبه لمعالجة موضوع العلم وإنما اكتفى بذكر كلمة علم، وذلك في اطار ازالة الخلط بينه وبين مفهوم الثقافة، وبإعتبار أن الثقافة قد سبق تحديد مفهومها في مباحثنا السابقة فإن العلم يتطلب تعريفا.

يعرف مالك بن نبي العلم من حيث ماهيته ذلك التعريف العام الذي يأخذ به العالم الوضعي والفقيه في العلوم الدينية فيقول" إن كل علم هو في جوهري الجهد الذي يبذله الانسان من أجل اكتشاف ما يجهل".[1]

" والعلم في أبسط معانيه ما هو الا البحث عن الحقيقة في كل الميادن في الأخلاق في التشريع في الاجتماع والطب...الخ، ولكنه معرض الى معوقات ومتاهات، فعلى العالم مواجهة هذه الحالات التي يرد فيها العقل بين الشك والاقتناع، لكن القرآن الكريم لم يهمل هذا الجانب ولفت النظر اليه وكشف الفرق بين الحقيقة وما سواها ممثلا ذلك في قصة يصف فيها انحراف اليهود في هاذه الناحية لقوله تعالى" وَمِنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني وان هم الا يظنون"[2]، وهذه الاية تضع الفكر الاسلامي في طريق العلم وتزوده لاكتسابه بأحسن التوجيهات المنهجية."[3]

وبعد تعريف العلم عند مالك بن نبي ننتقل الى الحديث عن علاقة الثقافة بالعلم في نظر مالك بن نبي.

---

[1] – بن نبي مالك، في مهب المعركة، دار الفكر، دمشق، ط 3، 1981، ص 167.

[2] – سورة البقرة، الاية 78.

[3] – ميهوب العابد، الفكر التربوي عن مالك بن نبي، أطروحى دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013-2014، ص 51.

ترتكز نظرية الثقافة عند مالك بن نبي على قائدة تفكيك العلاقة بين الثقافة والعلم ففي كتابه شروط النهضة نجده يتحدث عن العلم وذلك في سياق محاولة مالك بن نب تحديد مفهوم الثقافة وإزالة الخلط بين مفهومها ومفهوم العلم "، وهذا الخلط لا يرتفع حسب رؤية مالك بن نبي إلا بعد ربط الثقافة بالعلم ربطا وثيقا، وعلى أساس هذا الربط تصبح الثقافة كما يقول نظرية في السلوك، أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة وبهذا يمكن قياس الفرق الضروري بين الثقافة والعلم".[1]

" ولكي مفهم هذا الفرق يجب أن نتصور من ناحية فردين مختلفين في الوظيفة وفي الظروف الاجتماعية ولكنهما ينتميان لمجتمع واحد، كطبيب انجليزي وراعي انجليزي مثلا ومن ناحية أخرى نتصور فردين متحدين في العمل والوظيفة، ولكنهما ينتميان الى مجتمعين مختلفين في درجة تقدمهما وتطورهما".[2]

من خلال هذه المقارنة التي أقامها مالك بن نبي بين الطبيب الانجليزي والراعي الانجليزي نستنتج أنهما متماثلان في السلوك، أما في المثال الثاني نلاحظ الاختلاف في السلوك بين الفردين اللذين لهما نفس الوظيفة ولكنهما ينتميان الى مجتمعين مختلفين فالتماثل في السلوك بين الطبيب الانجليزي والراعي الانجليزي يعود الى الثقافة لا الى العلم لأنهما يختلفان في العلم والاختلاف في السلوك بين الفردين اللذين لهما نفس الوظيفة ولا ينتميان الى نفس المجتمع ناتج عن الثقافة لا عن العلم لأنهما يستويان في العلم.

وفي كتابه من أجل التغير تحدث أيضا مالك بن نبي عن علاقة الثقافة بالعلم ولقد قدم فيه شرحا أكثر تحديدا، وكان منطلقه أيضا منطلق من وضع الحد لما يصفه بالبلبلة " اذ

[1] – الميلاد زكي، مشكلة الثقافة(النظرية والمنهج والتطور)، المرجع السابق، ص 189.

[2] بن نبي مالك، شروط النهضة، المصدر السابق، ص 89.

يقول علينا أولا أن ننتهي من البلبلة الفكرية المضرة جدا والتي تجعل من كلمة ثقافة مرادفا لكلمة علم إن العلم يعطي المعرفة، إنه يعطي اللباقة والمهارة، وفقا للمستوى الاجتماعي الذي يتم عليه البحث العلمي، والعلم يعطي امتلاك القيم التقنية التي تولد الأشياء والثقافة تعطي العلم، إنها تعطي السلوك والغنى الذاتي الذي يتواجد على كل مستويات المجتمع والثقافة تعطي القيم الانسانية التي تخلق الحضارة."[1]

يتضح لنا من خلال هذه الفروقات بين الثقافة والعلم التي قدمها مالك بن نبي أن الثقافة والعلم ليس مترادفين. " حيث أن الثقافة تولد العلم دائما والعلم لا يولد ثقافة دوما ولا يمكن استبدال أحد هاذين المفهومين بالأخر، ان هذا التميز أساسي أولا لدى وضع برنامج يهدف الى الارتفاع بثقافة بلد ما الى أعلى مستوى من مستويات الحضارى، وثانيا في فهم الظواهر الاجتماعية والسياسية ذات الأهمية الأساسية."[2]

ضف الى ذلك أن العلم غير شخصي بمعنى أن رجل العلم يكون دائما انسان يراقب الأشياء ليسيطر عليها، ولكن الثقافة أكثر من ذلك أنها تخلق الانسان الذي يراقب ذاته.

ويعتبر كتاب تأملات كذلك من أهم الكتب التي تحدث فيها مالك بن نبي عن صلة الثقافة بالعلم الذي قدم فيه تحليل لعناصر ومكونات نظريته في الثقافة، ليؤكد لنا عن الفروقات التي يصفها بالجوهرية بين الثقافة والعلم، فتحدث مالك بن نبي عن الفرق بين العلم والثقافة من خلال المبدأ الأخلاقي وهو العنصر الأول في نظريته الثقافية، حيث يرى أن المبدأ الأخلاقي " يقوم ببناء عالم الأشخاص الذي لا يتصور بدونه عالم الأشياء ولا عالم المفاهيم ومن هنا كانت أهميته الكبرى في تحديد الثقافة في مجتمع ما، وفي

[1] – بن نبي مالك، من أجل التغير، دار الوعي، الجزائر، ط 1، 2013، ص 54.

[2] – المصدر نفسه، ص 54.

توضيح الخلاف الجوهري بين الثقافة التي تتضمن بوصفها شرطا أوليا تحديد الصلات بين الأفراد وبين العلم الذي لا يهتم الا بالصلات الخاصة بالمفاهيم والأشياء".[1]

إذن فالثقافة تقوم بتحديد الصلات بين الأفراد بينما العلم يقوم بتحديد الصلات الخاصة بالمفاهيم والأشياء.

ويوضح لنا مالك بن نبي كذلك الفرق في السلوك بين الرجل العالم والرجل المثقف "فالرجل العالم قد يكون عنده المام بالمشكلة كفكرة، غير أنه لا يجد في نفسه الدوافع التي تجعله يتصورها عملا، في حين أن الرجل المثقف يرى نفسه مدفوعا بالمبدأ الأخلاقي الذي يكون أساس ثقافته الى عمليتين عملية هي مجرد علم، وعملية أخرى فيها تنفيذ وعمل وبهذا يتضح لنا الخلاف الجوهري بينهما."[2]

ومن "ناحية الذوق الجمالي وهو العنصر الثاني في نظريته، أظهر مالك بن نبي فروقات أخرى بين الثقافة والعلم، حيث يرى أن العلم تنتهي مهمته عند انتهاء الأشياء وفهمها بينما الثقافة تستمر في تجميل الأشياء وتحسينها، لهذا يعتبر مالك بن نبي الذوق الجمالي من أهم العناصر الديناميكية في الثقافة، لأنه يحرك الهمم الى ماهو أبعد من مجرد المصلحة."[3]

ومن ناحية المنطق العملي وهو العنصر الثالث فإن تطبيق هذا العنصر يتضمن كما يقول مالك بن نبي فكرة الوقت والوسائل البيداغوجية لبث هذه الفكرة في السلوك، وفي

[1] – بن نبي مالك، تأملات، المصدر السابق، ص 148.

[2] – المصدر نفسه، ص 149.

[3] – الميلاد زكي، مشكلة الثقافة عند مالك بن نبي(النظرية، المنهج، التطور)، المرجع السابق، ص 185.

أسلوب الحياة في المجتمع، ويعتبر هذا المبدأ سيزيد في وضوح الخلاف البعيد على حد وصفه بين الثقافة والعلم، وبالتالي بين الفرد المثقف وبين الفرد العالم."[1]

" ومن ناحية التوجيه الفني أو الصناعة وهو العنصر الرابع، ويقصد به أيضا العلم الذي يعطي الوسائل، ويشرح كيفية تطبيق الأصول النظرية للعمل، وهذا يعني أن مالك بن نبي يعتبر العلم جزءا من الثقافة".[2]

من خلال المقارنة التي أقامها مالك بن نبي بين الثقافة والعلم انتهى الى أن الثقافة والعلم ليس مترادفين لأن الثقافة أكثر أهمية وفاعلية من العلم، فالثقافة شيء يختلف عن العلم لأن العلم يتصف بالدقة والوضوح، بينما الثقافة تتصف بالتعقيد والغموض.

والثقافة تولد دائما العلم بينما العلم لا يولد ثقافة دوما، وعليه فإن النظرية الثقافية التي اشتغل عليها مالك بن نبي قائمة أساس على تفكيك العلاقة بين الثقافة والعلم وهذا ما أكد عليه مالك بن نبي في شرح نظريته في الثقافة فإنه يحاول دائما التأكيد على اظهار الفروقات والتمايزات بين مكونات مفهوم الثقافة ومكونات مفهوم العلم مؤكدا على أن مهمة الثقافة هي أن تستقل عن العلم وتتمايز عنه حتى يكون لها هويتها الخاصة.

[1] – المرجع نفسه، ص 186.

[2] – المرجع نفسه، ص 186.

الثقافة والحضارة

ترتكز نظرية الثقافة عند مالك بن نبي على ربط الثقافة بالحضارة، حيث أن المنظومة الثقافية التي اشتغل عليها مالك بن نبي قائمة أساسا على العلاقة والربط بين الثقافة والحضارة الذي يتجلى في مجموع أفكاره وتصوراته كما صنفها وشرحها في مؤلفاته ومحاضراته والتي تجعل من مفهوم الحضارة محورا لها، المفهوم الذي عبر عن محوريته حين أطلق مالك بن نبي تسمية مشكلات الحضارة كعنوان معبر عن الاطار العام لجميع كتبته والثقافة في رؤيته مفتاح الحضارة.

وباعتبار أن الثقافة قد سبق تحديد مفهومها في مباحثنا السابقة فإن الحضارة تتطلب تعريفا.

مفهوم الحضارة لغة واصطلاحا

1- لغة:

"كلمة الحضارة مشتقة من فعل حضر، حضورا وحضارة جاء في لسان العرب "الحضارة" الاقامة في الحضر."[1]

2- اصطلاحا:

"ليس هناك تعريف محدد للحضارة يمكن أن يتفق عليه الباحثين والمفكرين، ويكاد يكون بن خلدون أول من نبه إليها واستخدمها في مقدمته، إلا أن إصلاحه الذي كان يستغني به معظم الأحيان عن هذه الكلمة هو العمران البشري، الذي يقابل الحضارة البشرية، يقول بن خلدون الحضارة انما هي تفنن في الترف وأحكام الصنائع المستعملة

[1] – منظور ابن، لسان العرب، دار الفكر، بيروت، ط 4، د.س، ص 197.

في مذهبه، من المطابخ والملابس والمباني والفرش وسائر عوائده وأحواله، فلكل واحد منها صنائع في استجادته والتأنق فيه."[1]

مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي

يرى مالك بن نبي أن الحضارة هي " مجموعة الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده وفي كل طور من أطوار وجوده، منذ الطفولة الى الشيخوخة، المساعدة الضرورية له في هذا الطور وذلك من أطواره."[2]

"فالحضارة ايجاد مبرر وقيمة للوجود ومن ثم اسباغها على جميع أنشطة الحياة وهي أيضا الاضطلاع بدور اجتماعي تاريخي فعال واعادة تفعيل القيم والأفكار، واعادة صيغ نمط العلاقة بين عوالم الثقافة الثلاثة، مع سيطرة القيم الروحية."[3]

"فالحضارة ذات جانبين الجانب الذي يتضمن شروطها المعنوية في صورة ارادة تحرك المجتمع نحو تحديد مهمته الاجتماعية والاضطلاع بها، والجانب الذي يتضمن شروطها المادية في صورة امكان، أي أنه يضع تحت تصرف المجتمع الوسائل الضرورية للقيام بمهمته، أي الوظيفة الحضارية."[4]

هذا البحث في مفهوم الحضارة يتسم بكونه بحث في عوامل النضج الثقافي وتكامل وظائف الحياة الاجتماعية، وفي تحقيق الروح الثقافية الأصلية وتمكنها من نفوس الأفراد وفي أهمية التطبيع الثقافي في تحقيق النموذج الحضاري للمجتمع وتجديده بإستمرار.

[1] – بن خلدون عبد الرحمان، مقدمة بن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 4 ، د.س، ص 172.

[2] – بن نبي مالك، أفاق جزائرية، المصدر السابق، ص 38.

[3] – بوعرفة عبد القادر وآخرون، تأملات في فكر مالك بن نبي، المرجع السابق، ص 190.

[4] – بن نبي مالك، المسلم في عالم الاقتصاد، دار الفكر، سوريا، ط9، 2009، ص 61.

لا نستطيع أحيانا التميز بين مصطلح الثقافة ومصطلح الحضارة في الاستعمال الحديث في اللغة العربية، فهما مترادفان لكن يوجد ما يفصل بينهما على أساس أن الثقافة تمثل الجانب المعنوي والحضارة تمثل الجانب المادي داخل المجتمع، حيث إننا إذا "انطلقنا من المعنوى اللغوي للكلمتين نجد أن الثقافة انتاج معرفي وعقلي، أما الحضارة انتاج مادي حيث أنها تتكون في المدن، لكن تبقى العلاقة بين الثقافة والحضارة حسب بن خلدون علاقة تلازم فهو يقول أن حضارة أي مجتمع أو ثقافته إنما تتمثل في القيم والمعاني والتنظيم التي تنطوي عليها حياته. ويظهر هذا التلازم في كون حضارة أي أمة عبر التاريخ هي التطبيق المادي والاجتماعي للتراث الثقافي وهي من انتاج هذا التراث في المحيط الذي نما وازدهر فيه".[1]

"نجد لفظة الثقافة تدل على معنى الحضارة في اللغة الألمانية، فالثقافة أو الحضارة ذات دلالتين: ذاتية وهي ثقافة العقل وموضوعية وهي سائر العادات والظروف الاجتماعية والتراث الفكري والعلمي والفنون والأداب، وألوان التفكير والقيم الرائعة في مجتمع معين أو هو طريقة حياة الناس وكل ما يملكونه ويتداولونه اجتماعيا لا بيولوجيا."

ليس هنا الغرض الوقوف على المعنى اللغوي لكلمة الثقافة أو لفظة الحضارة والبحث في تطور المفهوم عبر التاريخ، انما الوقوف على صلة الثقافة بالحضارة في فلسفة مالك بن نبي.

"اذا كانت مدرسة الغرب تعتبر الثقافة والحضارة ثمرة الفكر فإن المدرسة الماركسية تعتبرهما من انتاج المجتمع، لكن مالك بن نبي لا يقتصر على المعنى الفكري النظري للثقافة، يتناول المعنى في اطار الأوضاع التي عبر بها العالم أجمع من جهة والعالم الاسلامي المعاصر من جهة أخرى، فهو يراعي بدرجة كبيرة الجوانب والمعطيات العملية

[1] – بوبكر الجيلالي، البناء الحضاري عند مالك بن نبي، دار المعرفة، د.ط، د.س، ص 46.

والاجتماعية والتربوية والتاريخية"،[1]" اذا انطلق مما وضعه الباحثين في تبيان بين نظراتهم حيث يوجد ما نظر اليها من الناحية النفسية الفردية وهناك ما نظر اليها من الجانب الاجتماعي، وجانب الصلة بين الفرد والمجتمع فاعتبرت القضية قضية انسان بشكل عام وتجاوز في ذلك التفسير الأحادي الجانب بنظريته الشمولية."[2]

حيث أن مالك بن نبي يربط مفهوم الحضارة بالثقافة من حيث وظيفتهما الاجتماعية والتاريخية، "فالثقافة عنده هي علاقة متبادلة، هي العلاقة التي تحدد السلوك الاجتماعي لدى الفرد بأسلوب الحياة في المجتمع، كما تحدد أسلوب الحياة بسلوك الفرد"[3]، ان التبادل يتم بين جانبين متصلين هما الفرد والمجتمع وهذا ما يمثل الجانب النفسي والجانب الاجتماعي في الثقافة، وإن كان بعض المفكرين يعتبرونها قضية مجتمع فحسب.

إن العلاقة المتبادلة تنموا لذى الفرد وتكبر من خلال صلته بالمحيط الحيوي وحياته النفسية وفاعليته الاجتماعية، هذه الصلة تبعث في الأساس من رغبة الفرد في غريزة الحياة في الجماعة في تكوين وحدة اجتماعية تاريخية، " والتي تتيح له تكوين القبيلة والعشيرة والمدينة والأمة والقبائل الموغلة في البداوة، تستخدم هده الغريزة كي تجتمع، أما المجتمع الذي يجتمع لتكوين حضارة فإنه يستخدم نفس الغريزة، ولكنه يذهبها ويوظفها بروح خلقي سامي."[4]

أما "الحضارة عند مالك بن نبي هي الوجه الذي تبصر من خلاله قوة الثقافة وتماسكها فالثقافة تنجب حضارتها انطلاقا من ايجاد مبررات الوجود الحضاري لدى أفرادها، وضمن نسيج علاقاتها، فهي الجسر الذي يعبره المجتمع الى الرقي والتمدن، وهي أيضا ذلك

[1] – المرجع نفسه، ص 47.

[2] المرجع نفسه، ص 47.

[3] – بن نبي مالك، مشكلة الثقافة، المصدر السابق، ص 43.

[4] – المصدر نفسه، ص 79.

الحاجز الذي يحفظ أفراده من السقوط من فوق الى الهاوية."[1] وهذا ما يبين لنا علاقة الثقافة بالحضارة.

إن الثقافة لا تمثل علما من العلوم تختص فيه فئة معينة، انما هي نظام تقتضيه الحياة بشكل بكل ما تحتويه من أصناف التفكير والتغيرات داخل المجتمع وقد تكون وسيلة للتحضر حيث أن وظيفة الثقافة وظيفة اجتماعية وتربوية وتاريخية فدورها بمثابة الدور الذي يلعبه الدم، وفي هذا الصدد يقول مالك بن نبي "، "والثقافة هي ذلك الدم في جسم المجتمع يغذي حضارته ويحمل أفكار الصفوة، كما يحمل أفكار العامة وكل من هذه الأفكار منسجم في سائل واحد من الاستعدادات المتشابهة والاتجاهات الموحدة المتناسبة".[2]

أما وظيفة الحضارة يقول عنها "أن الحضارة هي الشروط اللازمة لأي اجتماع حضري مستقر، وهي حصانة لحياة الانسان، وفيها تأمين على مصيره وتوفير لاحتياجاته، وحفاظ على شخصيته الوطنية والدينية، ولهذا كان تحديد بن نبي مالك نابع من دراسته دقيقة للواقع، فالحضارة هي مجموعة الشروط الأخلاقية والمادية التي تنتج لمجتمع متعين أن يقدم لكل فرد من أفراده في كل طور من أطوار وجوده، منذ الطفولة الى الشيخوخة المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذالك من أطوار نموه."[3]

اذ يقول مالك بن نبي "فإذا كانت وظيفتها خدمة الانسان ماديا ومعنويا انها جامدة وثابتة بل هي حركة تاريخية متغيرة غايتها السير بركب التقدم نحو شكل من أشكال

[1] – بوعرفة عبد القادر، تأملات في فكر مالك بن نبي، المرجع السابق، ص 191.

[2] – بن نبي مالك، مشكل الثقافة، المصدر السابق، ص 78.

[3] – السحمراني أسعد، مالك بن نبي مفكر اصلاحيا، المرجع السابق، ص 141.

الحياة الراقية، وهذا ما نطلق عليه اسم حضارة."[1] إن هذا التعريف الذي قدمناه يبين لنا وظيفة الحضارة التي تقدم الخدمات الأخلاقية والمادية لكل فرد في المجتمع.

وعليه لا يمكن الحديث عن الحضارة دون ربطها بالثقافة فهي المجال الذي يبرز فيه المجتمع المتحضر إنها الوسط الذي تتكون فيه جميع خصائص المجتمع المتحضر وهي الوسط الذي تتشكل فيه كل جزئية من جزئياته تبعا للغاية العليا التي رسمها المجتمع لنفسه، بما في ذلك الحداد والفنان والراعي والعالم وهكذا يتركب التاريخ.

ومن جهة أخرى يؤكد مالك بن نبي على الطابع الشمولي للثقافة فرديا واجتماعيا وإنسانيا وعلى التكامل بين جوانب الحياة، بقوله إن الثقافة هي تلك الكتلة نفسها بما تتضمنه من عادات متجانسة وعبقريات متقاربة وتقاليد متكاملة، وأذواق متناسبة وعواطف متشابهة، وبعبارة جامعة هي كل ما يعطي الحضارة سمتها الخاصة، وتعتبر الصلة بين الثقافة والحضارة لكون الثقافة عامل اجتماعي مهم جدا في التاريخ اذ لا يمكن أن نتصور تاريخ بلا ثقافة، فالشعب الذي يفقد ثقافته يفقد حتما تاريخه."[2]

بحيث أن ثقافة أي مجتمع تعكس نمط العيش عند أفراده، كما تحدد أنماط التفكير وأساليب العمل ووسائله واتجاهاته، كما تقوم بحفظ ونقل ذلك على أنه تراثه الثقافي من جيل الى أخر، وثقافة المجتمع المتحضر تعكس حضارة ذلك المجتمع وخصوصية تلك الحضارة. فالثقافة تنشأ الحضارة وتعكس سمتها وتمثل المحيط الذي يتحرك فيه الانسان المتحضر، أما الحضارة فهي منتجات ثقافية ومادية نتجت عن قدرة الانسان على الابداع والتجديد وتفرده بالذكاء، ومنه نستنتج أن علاقة الثقافة بالحضارة علاقة تداخل وتلازم وتكامل، بحيث إن الثقافة ترتبط بالحضارة ارتباطا وثيقا فلا يمكن تصور حضارة دون

[1] – عبد الرحمان عبيد العزيز العتيق عبد الملك، مذكرة تخرج شهادة الماجستير في الدراسات الاسلامية، كلية الامام الأوزاعي للدراسات الاسلامية، بيروت، 2004، ص 36.

[2] – بن نبي مالك، مشكلة الثقافة، المصدر السابق، ص 77.

ثقافة فكل واقع اجتماعي هو في أصله قيمة ثقافية خرجت الى حيز التنفيذ، كما أسلفنا فالثقافة هي ذلك الوسط الذي يعكس حضارة ما في كل مرحلة من مراحل تاريخها، وهي التي تغذي النمط الحضاري للمجتمع، والحضارة تتسم بالخصائص التي تحملها الثقافة في المجتمع نفسه، لهذا كانت عبارة عن مجموعة القيم الثقافية المحققة، فننظر للقيمة التربوية وقيمة التأثير التي تمارسه مظاهر الثقافة على سلوكيات الإفراد بحيث تصبح الثقافة بمثابة تعلم اكتساب لآليات السلوك الحضري (تعلم الحضارة)".[1]و هذا مايبرز لنا بوضوح العلاقة بين الثقافة والحضارة.

[1] – بوعرفة عبد القادر وآخرون، تأملات في فكر مالك بن نبي، المرجع السابق، ص 191.

خـــاتـــمـــة

خـــاتـــمـــة

لقد حاولت هذه الدراسة الكشف عن أفكار مالك بن نبي المندرجة في اطار مشكلة الثقافة وذلك من خلال الوقوف على الاسهامات التي قدمها تشجيعا وعلاجا في سياق بناء مشروع نهضوي حضاري يكون فيه الانسان العنصر المركزي في معادلة بناء وتحقيق هذا المشروع على أرض الواقع وعليه توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

إن مالك بن نبي كان من بين المفكرين المؤثرين جدا بالدين الإسلامي خاصة وهذا كان واضح وجلي ومتجسد في معظم كتبه،وبالثقافة العربية والإسلامية عامة، وكان متأثرا ايضا بالثقافة الغربية.

– كان موضوع اهتمام مالك بن نبي البحث في أسباب تخلف المسلمين وتقدم غيرهم حيث أوصلته أفكاره أن داء الأمة يكمن في عقل أبنائها الذي أصابه الصدأ، و الذي انبهر بثقافة الغرب ، هذا ما جعل مالك بن نبي من السابقين الى استنهاض الأمة معتمدا على مورثنا الحضاري الذي يحتاج الى عملية الغربلة وتجديدها وذلك من أجل بناء الأمة الاسلامية.

– ينتمي مالك بن نبي إلى بلد عربي اسلامي عان من ويلات الاستعمار، فلقد شكل الاستعمار الأوروبي للبلاد الاسلامية دافعا قويا لشحذ همم المفكر مالك بن نبي، فقد اتجه الى تشخيص مشكلة الثقافة انطلاقا من الواقع الاجتماعي، فكانت قضاياه مستقاة من واقع المجتمع.

–ولقد حاول مالك بن نبي تشخيص العلل و الأمراض التي تعاني منها الأمة العربية وذلك بالحديث عن كيفية الإصلاح الذي لطالما اعتمده مالك بن نبي في فلسفته الإصلاحية انطلاقا من قوله تعالى "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"[1]

[1] سورة الرعد، الآية 11.

– إن الثقافة من منظور مالك بن نبي نظرية في السلوك أكثر من كونها نظرية في المعرفة.

– لقد استطاع مالك بن نبي أن يبلور نظرية في الثقافة التي ارتكزت على تفكيك العلاقة بين الثقافة والعلم من جهة وادماج الثقافة بالحضارة من جهة أخرى في مشروع البناء الحضاري الثقافي لمالك بن نبي، والتي عالج فيها مختلف الاشكاليات التي تعاني منها المنظومة الثقافية بشكل عام معتمدا على منهج التحليل والتركيب.

– مثلت نظرية الثقافة عند مالك بن نبي واحدة من أشهر النظريات الثقافية في المجال العربي والمعاصر التي عرف بها مالك بن نبي في العالم العربي والتي أكسبته شهرته.

– لقد عالج مالك بن نبي مشكلة الثقافة من ناحيتين، أطلق على الناحية الأولى تسمية التحليل النفسي للثقافة، وعلى الثانية التركيب النفسي للثقافة، وذلك لمعالجة مشكلة الثقافة من زاوية أخرى وفي طور أخر مختلف على قائدة التمايز الثقافي في مستويات التطور الحضاري.

– يرى مالك بن نبي أن الفرق جوهري في طريق مواجهة مشكلة الثقافة، يتحدد تبعا لدرجة التطور والتمدن في كل مجتمع ولطبيعة مرحلته التاريخية في العالم الاسلامي. فليست مشكلة الثقافة في منظور مالك بن نبي منحصرة في محاولة فهم الثقافة، انما بدرجة أساسية في تحقيقها وتمثلها بصورة عملية وتطبيقية.

– إن محاولة فهم الثقافة يحددها مالك بن نبي في اطار التاريخ وتطبيق الثقافة يحددها في اطار التربية، فالثقافة حسب رأيه أن يتصل معناها بالتاريخ ولا يمكن أن نتصور تاريخا بلا ثقافة والشعب الذي يفقد ثقافته حتما يفقد تاريخه.

– والثقافة من منظور مالك بن نبي لا تكتمل إلا بتحقيق أربعة أشياء المبدأ الأخلاقي والذوق الجمالي والمنطق العملي والتوجيه الفني أو الصناعي، حيث تمثل هذه العناصر جوهر النظرية الثقافية لمالك بن نبي ومحور الاهتمام بهذه النظرية.

– يعتبر مالك بن نبي الاعتماد على الذات شرط ضروري لنجاح أي مشروع نهضوي فمهمة المثقف من منظوره هي الخوض في غمار الحياة ومشكلات المجتمع.

قائمة المصادر والمراجع

1-قائمة المصادر:

- القرآن الكريم

1- بن نبي مالك ، ميلاد مجتمع، تر: عبد الصابور شاهين، ج1، دار الوعي الجزائر ط1، 2013.

2- بن نبي مالك ، مشكلة الثقافة، دار الوعي، الجزائر ط1، 2013.

3- بن نبي مالك، مذكرات شاهد القرن (الطفل)، دار الفكر، دمشق، ط2، 1984.

4- بن نبي مالك، شروط النهضة، دار الوعي، الجزائر، ط11، 2012.

5-بن نبي مالك، وجهة العالم الإسلامي تر: عبد الصابور شاهين، دار الفكر، دمشق ط1، 1986.

6- بن نبي مالك، القضايا الكبرى، دار الوعي، الجزائر، ط1، 2013.

7- بن نبي مالك، مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي، تر: بسام بركة، بسام بركة، أحمد شعوب، دار الوعي، الجزائر ط 1، 2013.

8- بن نبي مالك، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الوعي، الجزائر، ط 1 2013.

9- بن نبي مالك، القضايا الكبرى، دار الوعي، الجزائر، ط 1، 2013.

10- بن نبي مالك، أفاق جزائرية ، تر: الطيب شريف، مكتبة النهضة الجزائرية الجزائر، د ط، 1991.

11- بن نبي مالك، حديث في البناء الجديد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت 1951.

12- بن نبي مالك، مجالس دمشق، تر: عمر مسقاوي، عبد الصبور شاهين، دار الفكر دمشق، 2005.

13- بن نبي مالك، في مهب المعركة، دار الفكر، دمشق، ط 3، 1981.

14- بن نبي مالك، من أجل التغير، دار الوعي، الجزائر، ط 1، 2013.

15- بن نبي مالك، المسلم في عالم الاقتصاد، دار الفكر، سوريا، ط9، 2009.

16- بن نبي مالك، أفاق جزائرية، تر: الطيب شريف، مكتبة النهضة الجزائرية، د.ط د.س.

قائمة المراجع:

1- أحمد زكي، مالك بن نبي ومشكلات الحضارة، دراسة تحليلية نقدية، دار الصفوة بيروت، ط 1، 1992.

2- البرغوث الطيب، الفعالية الحضارية والثقافة السنينية، دار قرطوبة، الجزائر، د ط 2004.

3- النجار عبد المجيد، الشهود الحضاري للأمة الاسلامية، عوامل الشهود الحضاري دار الغرب الاسلامي، بيروت ط 1، 1999.

4- الميلاد زكي، المسألة الثقافية من أجل بناء نظرية في الثقافة، المركز العربي الثقافي المغرب، ط 1، 2005.

5- القريشي علي، التغير الاجتماعي عند مالك بن نبي منظور تربوي، القضايا التغير في مجتمع المسلم المعاصر الزهراء للعالم العربي، القاهرة، 1986.

6- البرغوث الطيب، حركة تجديد الأمة على خط الفاعلية الاجتماعية، دار قرطوبة الجزائر، ط 1، 2014.

7- الخطيب سليمان ، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي، المؤسسة الجامعية للدراسات للنشر والتوزيع، بيروت ط1، 1993.

8- السعاتي سامية، الثقافة والشخصية، دار النهضة العربية، القاهرة، ط 2، 1983.

9- الميلاد زكي، مالك بن نبي ومشكلات الحضارة، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1 1998.

10- بوعرفة عبد القادر، الحضارة ومكر التاريخ، رياض العلوم، الجزائر، ط1، 2006

11- بوخلخال عبد الوهاب، قراءة في فكر مالك بن نبي، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية الدوحة، ط 1، 2012.

12- بريون فوزية، مالك بن نبي عصره وحياته ونظريته في الحضارة، دار الفكر، دمشق دط، 2010.

13- بن نعمان أحمد، هذي هي الثقافة، دار الأمة، الجزائر، د.ط، د.س.

14- بوعرفة عبد القادر، الانسان المستقبلي في فكر مالك بن نبي، دار الغرب، الجزائر د.ط، د.س.

15- بوعرفة عبد القادر وآخرون، تأملات في فكر مالك بن نبي، دار القدس، وهران ط1 ، 2014.

16- بغداد باي محمد، التربية والحضارة، بحث في مفهوم التربية وطبيعة علاقتها بالحضارة في تصور مالك بن نبي، عالم الأفكار، د ط، 2006.

17- بن خلدون عبد الرحمان، مقدمة بن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 4،د.س

18- بوبكر الجيلالي، البناء الحضاري عند مالك بن نبي، دار المعرفة، د.ط، د.س.

19- حسين يوسف، نقد مالك بن نبي للفكر السياسي الغربي الحديث، دار التنوير للنشر والتوزيع، ط1، 2004.

20- خالد أسعد نورة، التغير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي، دار السعودية للنشر والتوزيع، ط1، د، س.

21- زكي أحمد صلاح، أعلام النهضة العربية الاسلامية في العصر الحديث، مركز المنارة العربية، القاهرة، ط1، 2002.

22- شاويش محمد ، مالك بن نبي والوضع الراهن، دار الفكر، دمشق، ط1، 2007.

23- ضيف الله بشير، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي، منشورات المجلس الأعلى الجزائر، ط 1، 2005.

24-عبادة عبد اللطيف، فقه التغير في فكر مالك بن نبي، موسوعة عام الأفكار، الجزائر ط 2، 2007.

25- فؤاد محمد شبل، حضارة الاسلام في دراسة أرنولد تونبي، الهيئة العربية للكتاب القاهرة دون طبعة، 1975.

26- ملحسن أستيتيه دلال، التغير الاجتماعي والثقافي، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن ط2، 2008.

27- عويمر مولود، مالك بن نبي رجل الحضارة، دار الأمل، الجزائر، د ط، 2007.

28- عبده محمد، مالك بن نبي مفكر ورائد إصلاحي، دار القلم، دمشق، ط 1، 2006.

قائمة المعاجم والموسوعات:

المعاجم:

1- طربيشي جورج، معجم الفلاسفة،(الفلاسفة، المناطق، المتكلمون، اللاهتيون المتصوفون)، دار الطليعة، بيروت، ط3، 2006.

2 - منظور ابن، لسان العرب، دار الفكر، بيروت، ط 4، د.س.

3- يعقوبي محمود ، معجم الفلسفة، أهم المصطلحات وأشهر الأعلام، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2008.

الموسوعات:

1- أحمد منصور محمد ، موسوعة أعلام الفلسفة، دار أسامة، الأردن، ط1، 2001.

2- بدوي عبد الرحمان، موسوعة الفلسفة، جزء 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط1، 1984.

3- بدوي عبد الرحمان، موسوعة المستشرقين، دار الفارس، الأردن، ط4، 2003.

المجلات والدوريات:

المجلات:

1- جيدل عمار، نقد مسالك المسلمين في التغير الاجتماعي عند مالك بن نبي، رؤى مجلة فصيلة تعنى بقضايا التجديد ومستقبل الاسلام، مركز الدراسات الحضارية، باريس العدد 20، 2003.

2- محفوظ محمد، صحيفة الرياض اليومية الصادرة عن مؤسسة اليمامة الصحفية، العدد 14176، 17 أفريل 2007 .

الدوريات:

1- سعيدي حمودة، مكانة الأفكار في الفلسفة الاجتماعية عند مالك بن نبي، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 1984-1985.

2- عبد الرحمان عبيد العزيز العتيق عبد الملك، مذكرة تخرج شهادة الماجستير في الدراسات الاسلامية، كلية الامام الأوزاعي للدراسات الاسلامية، بيروت، 2004.

3- ميهوب العابد، الفكر التربوي عن مالك بن نبي، أطروحى دكتوراه في علم الاجتماع جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013-2014.

- الملتقيات:

1- الميلاد زكي، مشكلة الثقافة عند مالك بن نبي (النظرية والمنهج والتطور)، بحوث الملتقى الدولي حول مالك بن نبي واستشراف المستقبل، ج 1، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2011.

الملاحق

ولد مالك بن نبي في أول يوم من شهر يناير سنة 1905 م، بمدينة قسنطينة لعائلة جد فقيرة كما كان الحال كل العائلات الجزائرية أثناء الاحتلال، وأمام ذلك الواقع الأليم لم تجد عائلته بدا من أن تتجه من قسنطينة الى مدينة تبسة، وكانت نتائج الاستعمار جلية واضحة في انعكاساتها على الشعب الجزائري فعم الفقر والبؤس والحرمان والدمار، وعائلة بن نبي من ضحايا الاستعمار، يقول مالك بن نبي: " كنت في السادسة أو السابعة من عمري، وكان وضع عائلة قد ساء ماديا، فجدي لأبي باع كل ما تبقى بحوزته من أملاك العائلة، وهجر الجزائر المستعمرة ليرجع الى طرابلس الغرب"[1].

أما الطفل مالكا فتكفل به عمه الأكبر الذي كان ميسور الحال، والذي كان مقيما بقسنطينة إلا أن المنية لم تمهله طويلا، وبعد وفاته عاد مالك مع أرملة عمه الى مدينة تبسة حيث يقيم والده. وعن هذه الفترة العصبية، يقول مالك بن نبي: " لقد كانت هذه الفترة من حياة عائلتي شديدة العسر"[2].

انظم مالك الى وسطه الجديد الى أطفال تبسة، وبما أنه ينتمي الى عائلة فقيرة، لم تجد الأم بديلا أن تشمر على ساعديها، لتحمي أسرتها من الجوع، وأن توفر لأطفالها ما يسدون به الجوع، فإشتغلت مهنة الخياطة، وفي هذه الظروف القاسية أدخل الى الكتاب ليتعلم القرآن الكريم، وكان تعليمه عبئا اضافيا على أسرته، فأجرة معلم القرآن لم تكن كل الأوقات متوفرة للأسرة، ولا زال مالك بعد كبره يذكر أن أمه عجزت أن تسديد أجرة معلهم للقرآن، فدفعت له مقابل ذلك سريرها الخاص، يقول مالك بن نبي " ولا أزال أذكر كيف أنها اضطرت يوم لكي تدفع لمعلم القرآن الذي يتولى تدريسي بدلا المال سريرها الخاص"[3].

---

[1]– بن نبي مالك، مذكرات شاهد القرن (الطفل)، المصدر السابق، ص 16.

[2] – المصدر نفسه، ص 18.

[3] _ المصدر نفسه، ص 19.

" استغرق تعليم مالك بن نبي بالكتاب أربع سنوات فقط، ثم دخل الى مدرسة الابتدائية بتبسة، وبعد ذلك التحق بقسنطينة حتى تحصل على شهادة الابتدائية، وقد واصل تعليمه الابتدائي الة غاية 1918 م ، ثم قدم امتحان لدخول المدرسة الثانوية سنة 1920 م وتحققت أحلامه بنجاحه، ثم تخرج مالك بن نبي، وفي هذه الفترة كثر تنقل مالك بن نبي بين مدينتي قسنطينة وتبسة، وبدأت مداركه تتسع، حيث تعرف على الأدب العربي فاطلع على أم القرى للكواكبي، ورساله التوحيد لـ محمد عبده، والصحافة العربية"[1] و"كذلك اطلع على الأدب الفرنسي والصحافة الفرنسية، وتعرف على المدارس الاصلاحية وبعض زعمائها كشيخ عبد الحميد ابن باديس، فشعر أنه ينتمي الى الخط الفكري عينه الذي ينتمي اليه".[2]

تخرج مالك بن نبي سنة 1925 م ، وبدأ بالتنقل والبحث عن عمل ما يقوم به، أو أي نشاط يمارسه، وبعد جهود مضنية لم يفلح في مسعاه، قرر بصحبة صديق له الاتجاه الى فرنسا، ولكن لم يوفق في الحصول على أي عمل فعاد الى الجزائر.

" بعد عودته من فرنسا استقر بمدينة تبسة واشتغل عونا بمحكمتها سنة 1927 م ، ثم عين كاتبا رسميا في محكمة أفلوا من نفس السنة، بعد ذلك انتقل الى محكمة شلغوم العيد ليعمل بها، لكنه استقال من وظيفته، وعزم الرحيل الى فرنسا، حيث عاد اليها للمرة الثانية في سبتمبر سنة 1930 م ، وفور وصوله لفرنسا سجل نفسه للمشاركة في امتحانات القبول بمعهد الدراسات الشرقية، ليتأهل بعد ذلك لدخول كلية الحقوق، لكن المقياس السياسي الذي كان يقاس به الطلبة الجدد أسقطه في الامتحان، والذي كان وراء سقوطه كما يقول هم مدبروا الصراع الفكري وفي مقدمتهم المستشرقين الحاقدين على الاسلام"[3].

---

[1] – أسعد السحمراني، مالك بن نبي مفكرا اصلاحيا، المرجع السابق، ص 14.

[2] – المرجع نفسه، ص 14.

[3] – عباد عبد اللطيف، صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي، دار الشهاب، باتنة، ط 1، 1984، ص 35.

وبهذا تحطمت أمال مالك بن نبي في الحصول على وظيفة المحاماة، التي يحلم بها بعد تخرجه من كلية الحق.

وأخيرا قرر مالك بن نبي الالتحاق بمدرسة اللاسلكي لدراسة هندسة الكهرباء، وكان تأثير هذه المدرسة عليه قد شكل منعطفا جديدا في حياته، يقول مالك بن نبي : " فكانت هاته الفترة الدراسية بالنسبة لي لا تقف عند حدود تهيئتي لدخول مدرسة اللاسلكي، بل غيرت جذريا اتجاهي الفكري، اذ أنها أسكنت في نفسي شيطان العلوم.[1]

منذ ذلك تغيرت حياتة، وتبددت طموحاته الأولى ونظرية للحياة لم تبق كما كانت،فأصبح همه الوحيد هو طلب العلم،يقول مالك:"لم تعد تجذبني احلام الآفاق البعيدة،ولم يستلمني مركز اجتماعي مرموق،لم يعد لي من حلم غير تحصيل العلم. وأصبحت أشعر كأنني حملت جميع آثام مجتمع يبحث عن الخلاص من بؤسه.[2]

عاش بن نبي في عمق المجتمع الفرنسي، ونظر إليه من داخله في الوقت الذي كان الآخرون ينظرون إليه من خارجه، وفي خضم هذا الواقع الجديد قرر سنة 1931م الزواج من فرنسية تعرف عليها في نادي جمعية الشباب المسيحي في باريس الذي كان يتردد عليه وتسمت بخديجة بعد إسلامها، وأصبحت كما يقول عنها نعم الزوجة ونعم العون له،ووفرت له كل سبل الراحة،مم جعله يتفرغ للنشاط مع زملائه الطلبة،ويتابع عن كتب نشاط الحركة الوطنية والإصلاحية في الجزائر ،ويعمل على مؤازرتها.[3]

وكما لم يكن من أحلام ابن نبي أن يصبح مهندسا كهربائيا،لم يكن كذلك من أحلامه أن يصبح مفكرا، لكن الظروف والأقدار كثيرا ما تكون لها الأولوية في تقرير مصير

[1] – انظر ،بن نبي مالك، مذكرات شاهد القرن(الطالب)، دار الفكر، دمشق، ط 2، 1984، ص 219.

[2] - انظر ،المصدر نفسه، ص219

[3] - بن إبراهيم الطيب، مواقف وأفكار مشتركة بين ابن نبي وابن خلدون،دار مداني، د.ط، 2002م، ص36.

الإنسان عن أولويات خياراته، فاختار ابن نبي الفكر الحضاري، وعكف على الدراسات الاجتماعية والفلسفية والنقدية والتحليلية للحضارة العربية والإسلامية.[1]

كانت مواقف بن نبي الفكرية خاصة،ومواقفه من الاستعمار وعدم رضوخه لضغوطه ومساومته عامة هي ما حال دون توظيفه، ودون تحقيق أحلامه في الهجرة إلى بعض البلدان الإسلامية، وهكذا وجد ابن نبي نفسه وجها لوجه أمام أعاصير الاستعمار،يقول:"كنت أعيش بباريس واحمل بها وحدي لواء الإصلاح في وجه العواصف والأعاصير التي يثيرها الاستعمار على خصومه."[2]

وفي هذه الظروف تعرف على شخصيات بارزة سياسية وثقافية منها المستشرق الفرنسي " لويس ماسينيون" وتقابل مع " المهاتما غاندي" الزعيم الهندي سنة 1932 م أثناء زيارته لفرنسا، وتعرف على أفكار "شكيب أرسلان" الكاتب والأديب اللبناني، والتقى مع بعثه الأزهر بفرنسا وتعرف على أعضائها وخاصة على الشيخ " عبد الله دراز" الذي كتب له في ما بعد مقدمة أول كتبه " الظاهرة القرآنية" وكذلك تقابل مع زعماء الوفد الجزائري الذي زار باريس سنة 1936 م بزعامة الشيخين " عبد الحميد بن باديس" و "محمد البشير الإبراهيمي"[3] لكن الشخصية التي سيلتقي بها مالك في باريس ويكون لها الأثر الواضح في توجهاته هو صديقه " حمودة بن الساعي"، ويعترف مالك بأنه مدين لحمودة بن الساعي باتجاهه ككاتب متخصص في شؤون العالم الاسلامي.[4]

ألف مالك بن نبي ما يزيد عن عشرين كتابا ما بين سنتي 1946م و 1973م وهي سنة وفاته،وكانت عناوين كتبه تحت عنوان مشكلات الحضارة.

---

[1] –انظر، المرجع نفسه، ص37

[2] – المرجع نفسه، ص37

[3] – المرجع نفسه،ص37

[4] – بن نبي مالك مذكرات شاهد القرن(الطالب)،المصدر السابق ،ص235

مؤلفاته المطبوعة حسب ترتيبها الزمني وتواريخ صدور طبعاتها الأولى.

1-الظاهرة القرآنية: ظهر سنة 1946 م.

2-لبيك: عبارة عم رواية أدبية، ظهر هذا الكتاب سنة 1947 م.

3-شروط النهضة: ظهر سنة 1947.

4-**الفكرة الافريقية الأفروا الأسيوية:** ظهر سنة 1956 م.

5-مشكل الثقافة: صدر سنة 1959 م.

6-حديث في البناء الجديد: صدر سنة 1960 م.

7-الاستعمار يلجأ الى الاغتيال بوسائل العلم: صدر سنة 1960 م.

8-فكرة كمنولوث اسلامي: طبع هذا الكتاب سنة 1960 م.

9-تأملات في المجتمع العربي: طبع بالقاهرة سنة 1961 م.

10-في مهب المعركة: وهو عبارة عن سلسلة من المقالات كان المؤلف قد كتبها في باريس نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات، وقام بنشرها في صحيفتين جزائريتين ناطقتين بالفرنسية(الشباب المسلم والجمهورية الجزائرية).[1]

11-ميلاد مجتمع: طبع بالقاهرة سنة 1962 م

12-أفاق جزائرية: طبع بالجزائر سنة 1964 م.

13-مذكرات الشاهد القرن(الجزء الثاني الطالب): طبع ببيروت سنة 1970 م.

[1] – الخليفة المشيش مولاي، مالك بن نبي، دراسة استقرائية مقارنة، دار المحاكاة، سوريا، ط 1، 2012، ص ص 21، 22

15-المسلم في عالم الاقتصاد: طبع سنة 1970 م.

16-مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي: طبع بالقاهرة سنة 1971 م.

17-بين الرشاد والتيه: ظهرت طبعته الأولى سنة 1971 م بطرابلس وهو عبارة عن سلسلة مقالات كتبها بالفرنسية، ونشر معظمها في جريدة الثورة الافريقية.[1]

منذ أن استقال مالك بن نبي من منصبه، عكف في بيته على بذل المزيد من الجهد والعطاء الفكري، فنظم الندوات في بيته للأساتذة والطلبة وشارك مشاركة فعالة في ملتقيات الفكر الاسلامي التي كانت تنعقد في الجزائر سنويا. وبقي مواصلا جهاده ومكافحته بالفكرة والكلمة والقلم، الى أن وافته المنية وهو يتابع أخبار وأحداث حرب أكتوبر سنة 1973 م فكانت وفاته يوم 31 أكتوبر سنة 1973 م بالجزائر العاصمة.[2]

[1] – المرجع نفسه، ص 23.

[2] – بن ابراهيم الطيب، مواقف وأفكار مشتركة بين مالك بن نبي وبن خلدون، المرجع السابق، ص 42.

الفهرس

فهرس الموضوعات

كلمة شكر

إهداء

مقدمة.....أ-هـ

الفصل الأول: المرجعية الفكرية لمالك بن نبي

المبحث الأول: تأثر مالك بن نبي بالفكر الاسلامي.....8 -13

المبحث الثاني: تأثر مالك بن نبي بالفكر الغربي..... 14-18

الفصل الثاني: المشروع الثقافي الاصلاحي في فكر مالك بن نبي

المبحث الأول: تحديد مشكلة الثقافة من منظور مالك بن نبي..... 20-38

المبحث الثاني: نظرية الثقافة عند مالك بن نبي..... 39-50

الفصل الثالث: الثقافة بين العلم والحضارة

المبحث الأول: الثقافة والعلم..... 52-56

المبحث الثاني: الثقافة والحضارة..... 57-63

خاتمة..... 65- 67

قائمة المصادر والمراجع..... 69-75

الملاحق..... 77-82

الفهرس..... 84-85